صفحات عن عظماء الصحابة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ – ٠١٢٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني yuness٢٠٠٥@hotmail.com

عبد الباسط البطل

سلسلة

قصص من القرآن وفرسان الإسلام

صفحات عن عظماء الصحابة

١٢٧ ش أثر النبي – مصر القديمة ـ القاهرة
ت: ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ ـ ٠١٢٢٩٠٦٩٣٤٨

عبدالباسط، عبدالباسط علي أمين البطل

صفحات من تاريخ الصحابة : أ/ عبدالباسط علي أمين البطل- القاهرة

دار زهور المعرفة والبركة، ٢٠١٨

١٦٩ ص ١٧×٢٤سم

تدمك ٢ ٩٥ ٥١٧٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١- سير الصحابة

٢- العنوان

٢٣٩.١

رقم الإيداع : ١٤٩١٣ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٢ – ٩٥ – ٥١٧٢ – ٩٧٧ - ٩٧٨

إهداء

إلى صديقي الصدوق.

والمبدع الخلوق.

أستاذ عبدالرحمن بكر

مقدمة

في حياة الإنسان القدوة ،التي لها تأثير عميق جدا، وتعيش في النفس

البشرية أطول وقت ممكن.

وما أحوجنا جميعا إلى قدوة نقتدي بهم في حياتنا، وخصوصا شباب اليوم، الذين لم يعرفوا الكثير عن العظماء الأوائل في الإسلام.

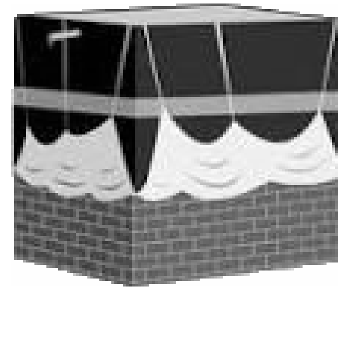
ولم أجد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة، أفضل من صحابته رضي الله عنهم، فهم أحق أن نقتدي بهم، وحق علينا أن نُخلد ذكراهم بين الحين والآخر، ليكونوا لنا وللشباب نبراس نهتدي به، كلما ضللنا الطريق.

كما أنه حق علينا للشباب، أن نكتب لهم عن هؤلاء العظماء، ليعلموا كيف ذاقوا مرار الحياة، وما لاقوه من تعذيب، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، حتى يصل إلينا الإسلام معززا مكرما، إيمانا منهم بأن لا حياة ولا سعادة إلا في ظل هذا الدين.

ولا شك أنني احترت كثيرا حين بدأت الكتابة في هذا الأمر، لأن كل صفحات الصحابة الأوائل مزدحمة بإحداث عظيمة، ضربوا فيها أروع المثل العليا في الفداء وجهاد النفس، قبل الجهاد في الميدان.

ثم اخترت عدد من الصحابة، لهم في تاريخ الإسلام علامة لا يمكن إنكارها، وساهموا في رفع راية الحق بإذن الله تعالي.

زيد بن حارثة



-١-

رجل اختار العبودية

زيد بن حارثة



عندما عاد حارثة بن شرحبيل إلى بيته.

كان في نفسه شوق دفين لولده الصغير، الذي اقترب من الثامنة من عمره.

دفع الباب..رأى زوجته سعدي بنت ثعلبة، تمسك ولدها الصغير في يدها، تستعد للخروج.

سألها في لهفة:

- إلى أين تذهبين يا أم زيد.؟.

- ذاهبة لزيارة أهلي، لقد اشتقت إليهم.

ركز على ركبتيه، واحتضن ولده زيد، وقبّله مرات، ثم سمح لهما بالخروج، رغم أن هناك شيئا في صدره لا يرتاح له، ودخل يتمدد بالفراش.

ولم تكن إلا ساعة.

استيقظ حارثة بن شرحبيل على صراخ وعويل يأتي من بعيد، ارتجف قلبه، وقام فزعا، يتجه بأذنه وعينيه ناحية الصوت، فإذا بزوجته تأتي مهرولة، وتصرخ:

- النجدة.. النجدة.

أسرع إليها زوجها ، وسألها بلهفة:

- ماذا بك يا زوجتي.. وأين ولدنا زيد.؟.

فقالت وهي تبكي:

- لقد أغار بني القيس بن جسر على قبيلتنا، وأخذوا كل غالٍ من بيننا، وفروا هاربين.

- أين اتجهوا.؟.

أشارت أم زيد إلى الجهة التي فر إليها اللصوص.

سرعان ما امتطى حارثة فرسه، وانطلق يلحق باللصوص التى خطفت ولده، وخلفه رجال القبيلة.

أدركت اللصوص أن هناك من يتبعها، فغيرت طريق سيرها، وعبرت سهولا ووديانا صعبة، حتى تتخفى عن الأنظار.

❖ ❖ ❖

ومرت الأيام والليالي، ولم ييأس حارثة من البحث عن ولده، ولم يفقد الأمل في العثور عليه.

فمازال يجوب القبائل، ويسير في السهول ويعبر الوديان ويدور في الأسواق، عسى أن يجد لولده أثرًا، أو يجد من يدله عليه.

ولم يعرف أن اللصوص باعوا ولده في سوق عكاظ، واشتراه رجل يدعى حكيم بن حزام بن خويلد، وأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد.

ثم تزوجت خديجة بمحمد بن عبدالله، ووهبت الغلام لزوجها.

مرت أيام طويلة، عمل فيها زيد في بيت محمد بن عبدالله، ومازال والده ينفطر قلبه عليه، كذلك والدته.

وأثناء موسم الحج، كان زيد عند الكعبة، فإذا برجال من الحجيج ينظرون إليه بعجب..وكذلك زيد، إنهم من قبيلته، فعرفوه وعرفهم.

وعندما عاد الحجيج،أسرع الرجل إلى والد حارثه، وأبلغوه بأن ولده زيد يعيش في مكة، وفي بيت رجل يدعى محمد بن عبدالله.

انطلق حارثة بكل لهفة، وجاء إلى مكة، مع أخوته وبعض من عشيرته، فسألوا عن رجل يدعى محمد، ووجوده في المسجد.

دخلوا عليه، وقالوا له:

يا ابن عبدالله، ياابن عبدالمطلب، يا ابن هاشم..أنتم أسياد القوم، وأهل الحرم وجيرانه، تطعمون الفقير والمسكين، وتجيرون الملهوف.

نظر إليهم محمد بن عبدالله مبتسما، وقال لهم:

- ما حاجتكم إخوة العرب.

- عندكم فلذة كبدنا، فامنن علينا، وأحسن إلينا في الفداء، ولك ما تشاء.

تعجب محمد بن عبدالله، وسألهم:

- ما هي حاجتكم التي عندنا.؟.

قالوا:

- ابننا زيد.

ابتسم محمد بن عبدالله، فاطمأن قلب حارثة ومن معه.

ثم قال محمد:

- دعو زيد، وخيروه..فان اختاركم، فخذوه بغير فداء.

أدرك الرجل ومن معه، أنهم يتحدثون مع رجل كريم الأخلاق، فانبسطت أساريرهم.

وسرعان جاء زيد فسأله محمد بن عبدالله:

- هل تعرف هؤلاء.؟.

قال زيد: نعم..هذا أبي، وهذا عمي.

فاحتضنه والده وأعمامه بكل شوق، واحتضنهم هو الأخر.

فقال محمد بن عبدالله:

- لقد تركنا لك الاختيار، بين الإقامة معي، أو الذهاب معهم.

فكانت المفاجأة..لم يتردد زيد، وقال:

- بل أبقى معك.

تعجب أعمامه، وجن جنون والده، ثم سأله:

- ماذا يا زيد..أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وأمك وأعمامك وعائلتك كلها.!.

- نعم يا أبي..إني ما رأيت من هذا الرجل إلا كل طيب، ولم أختار عليه أحد قط.

فقام محمد بن عبدالله إلى حجر إسماعيل، وقال لمن حضر ورأى:

" يا من حضر..اشهدوا أن زيدا ابني، أرثه ويرثني".

ارتاح قلب والده حارثة وأخوته، ورحلوا إلى ديارهم، مطمئنين على زيد، لأنه في دار رجل أمين مثل محمد بن عبدالله، ثم عرف زيد بعد ذلك بزيد بن محمد.

❖ ❖ ❖

كل هذه الأحداث كانت قبل بعثة سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وقبل أن يكلفه الله برسالة الدعوة.

هكذا كان زيد أكثر حظا من غيره، تربي في بيت النبوة، فكان أول من آمن بدعوة رسول الله ﷺ، فما أعظم هذا الشرف الذي عليه صبي مثل زيد بن حارثة.

ثم نزل القرآن الكريم، وفيه آية تحريم التبني، حيث قال المولى عزّ وجلّ:

["ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"] (٥)..الأحزاب

ومنذ نزول هذه الآية الكريمة، أصبح يدعى بزيد بن حارثة.

ومرت السنين، استقى فيها زيد من أخلاق النبوة، وهاجر مع المهاجرين.

وكل يوم يزداد محبة لرسول الله ﷺ، ويزداد الرسول حبًّا له، حتى أنه نال لقب حب رسول الله ﷺ.

وكذلك ابنه أسامه، نال لقب الحب بن الحب، بعد أن زوجه رسول الله ﷺ، من السيدة زينب بنت جحش.

وما زاد زيد شرفًا، أنه الوحيد من صحابة رسول الله ﷺ، الذي ذُكر أسمه في القرآن صراحة دون تورية، وذلك حين طلق زيد زوجته السيدة زينب بنت جحش، ثم تزوجها رسول الله ﷺ.

وهنا قال الله_عز وجل_ في آياته الكريمة:

["فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا "](٣٧)" الأحزاب

شهد زيد بن حارثة غزوة بدر وباقي الغزوات، وكان له دورًا كبيرًا في انتصارات المسلمين المتتالية، حيث أنه كان يجيد الرماية

كما تولى قيادة البعوث والسرايات التي كان يرسلها رسول الله ﷺ، وتولى الخلافة على المدينة، إذا خرج الرسول ﷺ.

❖ ❖ ❖

وظلت مسيرة الدعوة إلى الله في طريقها المضئ، تتوسع في الأرض شرقًا وغربًا.

حتى جاءت السنة الثامنة من الهجرة، أرسل رسول الله ﷺ، الحارث بن عمير الأزدي، بكتاب إلى ملك بصرى على حدود الشام، يدعوه فيه الإسلام.

لكن شرحبيل بن عمرو – أحد أمراء الغساسنة- وعامل هرقل على الشام، واعترض الرسول، ثم قتله.

غضب رسول الله ﷺ، واستنفر المسلمين للجهاد، وكان زيد بن حارثة قائدًا لهذه السرية.

خرج في هذه السرية ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، تحت قيادة زيد بن حارثة، حتى خالد بن الوليد، كان جنديًا في هذه المعركة، وليس قائدًا.

ورافق رسول الله ﷺ الجيش حتى حدود المدينة، ظل يوصيهم بألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ، وألا يهدموا المنازل أو يحرقوا الزروع أو يقطعوا الأشجار.

كما أوصاهم بتسلسل القيادة، فإذا قتل زيد، فيخلفه جعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر، فيخلفه عبدالله بن رواحة.

وسار الجيش إلى حدود الشام، فسبقته الأنباء إلى شرحبيل، الذي أسرع واستنفر القبائل المحيطة به، كما أمده هرقل بجيش جرار، ليصبح جيش شرحبيل مائتا ألف مقاتل من الروم، مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين.

والتقى الجيشان، واندفع زيد بن حارثة نحو العدو، كأنه كان يتعجل الموت، حاملا راية رسول الله ﷺ، وقاتل بكل شجاعة، مما أذهل جيش الروم..فكيف لجيش عدده ثلاثة ألاف مقاتل، يصمدون أمام جيش يفوق عددهم بكثير.؟.

ورغم أن الرماح كانت تصيب زيد من اتجاه، إلا أنه ظل يقاتل بشراسة، حتى خرت قواه، ووقع على الأرض، ونال شرف الشهادة في سبيل الله، وأسرعت ملائكة السماء، تحمل روحه الطاهرة، إلى الملأ الأعلى.

فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وتولى قيادة الجيش، ثم استشهد بعد قتال عنيف.

ثم حمل الراية عبدالله بن رواحه، واستشهد أيضا.

بدأ اليأس والتخبط ينتشر في صفوف المسلمين، ولكنهم سرعان ما اجتمعوا، واتفقوا على أن يتولى خالد بن الوليد القيادة، الذي كان يتميز بعقلية حربية عالية.

ظل خالد يراوغ العدو، حتى أتي الليل، وتوقف القتال.

لم ينم خالد بن الوليد ليلته، وظل يفكر في خطة يواجه بها العدو، ويخرج من المعركة بأقل الخسائر.

ثم أمر جيش المسلمين بإحداث جلبة بالخيل والجمال خلف الخطوط، ليثيروا غبارا في الجو، حتى يعتقد العدو أن المسلمين جاءهم مددا من رسول الله ﷺ.

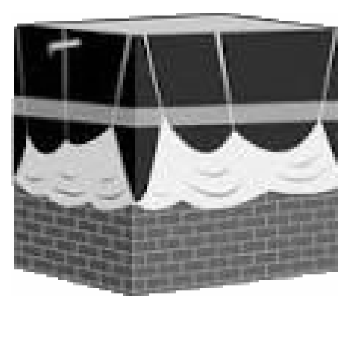
ولم يكتفِ بهذا، بل غير أماكن الجيش، بدل بين الميسرة والميمنة والقلب، فكان له ما أراد، واعتقد العدو أن جيش المسلمين أصبح أكثر عددا، فقعدوا عن القتال.

وعاد خالد بجيش المسلمين، بعد أن استشهد ثلاثة أمراء، أولهم زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ، بعد أن سطر أروع أمثلة البطولة في المعارك، وساهم في سطوع شمس الإسلام، حتى السنة الثامنة من الهجرة.

وبكى رسول الله ﷺ، وذهب يعزى أهل الشهداء، فارتمت ابنة زيد في صدر رسول الله ﷺ، وهي طفلة صغيرة، فأجهش رسول الله ﷺ بالبكاء، بكاء الحبيب على فراق حبيبه.

❖❖❖

خبيب بن عدي



- ٢ -

روح في السماء

خبيب بن عدي



عمت الأفراح، وطل السرور من كل بيت أنعم الله عليه بالإسلام.

فعلت تكبيرات النصر في المدينة، ارتجت لها البيوت وكل ما فيها، وعانقت التكبيرات نجوم السماء.

ولم لا.. وقد عاد الأبطال رافعين رايات النصر..؟. عادوا من أول غزوة في التاريخ الإسلامي، بعد أن منّ الله عليهم بنصره المبين، غزوة الكرامة التي أرست حجر أساس دولة الإسلام.

في نفس الوقت، كانت مكة تشتعل حزنا للهزيمة المخزية.

وتتعجب..كيف لقلة قليلة من المسلمين أن ينزلوا مثل هذه الهزيمة بأشراف مكة الأكثر عددا وعدة..؟.

وكيف لهم أن يقتلوا من سادتها وأشرافها ووراءهم ما وراءهم من أُسر وأموال وجاه وحسب ونسب..؟.

وكلما مرت لحظة، يزداد المشركين في مكة غيظا وكرها وحقدا على المسلمين في المدينة، يتمنون الانتقام لمن قتلوا من أهلهم في بدر.

ولذلك.. بدأت مكة في القيام بالمناورات والاستكشافات، وإرسال العيون لمتابعة المسلمين، تمهيدا لهجوم شرس يعدون له.

علم رسول الله ﷺ بما يقوم به رجال مكة من تحركات، فأختار عشرة من الرجال، على رأسهم عاصم بن ثابت، ومن بينهم خبيب بن عدي.

سارت الأبطال نحو مكة، ولم يعرفوا أن عيون المشركين ترصدهم، حتى بلغوا مكان بين عسفان ومكة.

وهناك .. استبان لهم حركات تبدو من بعيد، فأدركوا أن هناك من يراقبهم.

داروا حولهم بنظراتهم، فوجدوا مائة من فرسان المشركين يقبلون عليهم من كل مكان.

أمر عاصم بن ثابت أصحابه بالصعود فوق جبل كانوا بالقرب منه، لعلهم يحتمون به من هذا العدد الكبير، والذين هم من أفضل رماة المشركين.

وسرعان ما أحيط بهم، ثم طلب المشركين من المسلمين أن يسلموا أنفسهم، وأبدوا لهم بالعهود أن لا يمسهم الأذى.

نظروا إلى عاصم بن ثابت، ينتظرون رأيه، فهو قائدهم.

كان القائد له رأي آخر، فهو يعـرف أن لا عهـد لمثـل هـؤلاء المشركين، وأخذته عزة الإسلام الأبية، وقال:

" أما أنا فوالله لا أنزل في ذمة مشرك"

تأججـت الحماسـة في نفـس المـسلمين العـشرة، إثـر هـذه الكلمة التي تدل على عزة نفس المسلم الحق.

ثم صاح عاصم بن ثابت مرة أخرى وقال:

" اللهم أخبر عنا نبينا"

ونـزل مـن فـوق الجبـل، وخلفـه الرجـال العـشرة، نزلـوا مجاهدين مـدافعين عـن أنفـسهم، وليـسوا مستـسلمين كـما أراد المشركين.

رغـم أنهـم يعرفـون أن معـركتهم خـاسرة لا محالـة، لأنهـم لا يستطيعون أن يغلبوا مائة من أمهر رماة المشركين، إلا أنهم فضلوا أن يموتوا أبطالا مقاومين، لا جبناء مستسلمين.

لكـن المـشركين لم يعطـوهم الفرصـة للمقاومـة، وغمـروهم بالسهام أثناء نزولهم مـن فـوق الجبـل، فوقـع ثمانيـة مـن أنقـى المسلمين شهداء، ثمانية كانوا أكثر الناس حفظا للقـرآن، وأفـضلهم قياما لليل، وحفاظا على الصلاة.

إلا اثنين، هما خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة.

وعندما علم المشركون بأن الصحابي الجليل خبيب بن عـدي بينهم، اشتعلت نار الحزن في قلوبهم أكثر، وتمنوا لو قطعـوه إربـا انتقاما منه، ولكنهم رأوا أن يسحبوه إلى مكة، ليعـذبوه أولا عـلى رؤوس الأشهاد، ربما تشفى صدور.

كان اسم خبيب بن عدي وحده يثير الحـزن في قلـوب ديـار مكة كلها، فهو من أكثر الصحابة شجاعة وقوة وإقدام، لقـد فـرق صفوف المشركين، وأزعجهم بتحركاته ووثباته في معركة بدر، وقتل منهم ما قتل، وجرح منهم الكثير، ولـذلك كـان اسـمه يثـير حـزن المشركين.

وساق المشركون خبيب وصاحبه زيـد بـن الدثنـة إلى مكـة، مكبلين من الأيدي والرقبة، فخرجت مكة عن بكرة أبيها، تـشاهد أسيري المسلمين، تعلو الشماتة وجوههم.

لكنهم سرعان مـا ملأهـم الغـل والحقـد، وأرادوا جميعـا ان يهجموا عليه مرة واحدة، يريدون الفتك به، وذلك عنـدما علمـوا أنه خبيب بن عدي.

واختلف المشركون في أمـر خبيـب، الكـل يريـد أن يـشتريه، ليس ليكون عبدا له، بل ليذيقه أقسى ألوان العذاب بنفسه، ربمـا يشتفي من الغل والكراهية المـشتعلة في صـدره، وخـصوصا بنـو الحارث بن عامر، لأن خبيب قتل كبيرا لهم في معركة بدر.

كاد أن يمتـد الخـلاف بـين المـشركين، ولكـنهم رأوا أن يكـون خبيب ملك للجميع، فمن يريد أن يعذبـه فليـأتي ويعذبـه في أي وقت يشاء، وكيفما يشاء.

والتفت جمع من المـشركين إلى زيـد بـن الدثنـة، وبـدأوا في تعذيبه.

ثم سأله أحدهم:

" أتحب ان يكون محمـد مكانـك، وأنـت سـليم معـافى في أهلك..؟.

فنظر زيد بن الدثنة إلى صاحب السؤال، والدم يتقاطر من فمه وكل جسمه، ثم قال:

" والله ما أحبّ أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول لله بشوكة.."

أثار قوله غضب المشركين، فانهالوا عليه بالسيوف والرماح، حتى قتلوه.

أما عن الصحابي الجليل خبيب بن عدي، أمعن المشركون في تعذيبه، فمنهم من يضرب بيده، أو بعصا، ومنهم من يقذفه بالحجارة، ومنهم من يشعل النار في جزء من جسده.

كل هذا وخبيب ينظر إليهم في صمت، لأنه كان في عالم أخر، عالم لم يصل إليه أحد من هؤلاء المشركين، عالم أخذ حواسه كلها، واستولى على كل جزء فيه، ولذلك لم يتأوه أو يصرخ من هو العذاب الذي ينزل عليه.

لقد كان خبيب مع الله.

نعم مع الله.. يذكره.. يبتهل إليه.. ولذلك كان العذاب بردا وسلاما على جسده، فلم يشعر بما يفعله المشركين، فجن جنونهم، وأفرطوا في التعذيب.

وعندما يأتي الليل، وقبل أن ينام المشركون في بيوتهم، يسحبوه في قيده إلى دار بني الحارث بن عامر، ليكون أسيرا عندهم في الليل، ثم يخرجونه في النهار إلى الناس، يفعلون به ما يشاؤون من العذاب.

وذات ليلة، دخلت عليه إحدى بنات بني الحارث، كانت تريد أن تشتفي هي الأخرى من الكراهية التي تحملها له، تريد أن تضربه مثلما يضربه الرجال.

لكنها خرجت وهي تصرخ قبل أن تمسه بسوء، فملأ صراخها الدار، وجاءت الناس في هلع شديد، كانوا يظنون أن السجين فك قيده، واعتدى على الفتاة، فأخبرتهم أن السجين لم يمسها بسوء، ولكنها قالت أنها رأت خبيب يحمل بين يديه عنقودا من العنب، يأكل منه.

تعجب المشركون، وسألوها:

كيف يمسك شيئا ما بيديه ويأكله، وهو كما نراه مكبلا بإحكام من يديه..؟.

فردت الفتاة وأقسمت أنها صادقة فيما قالت، وأنها رأته يأكل من عنقود عنب كبير في حجر رأس إنسان.

ازداد المشركون عجبا، وسألوه:

كيف يأكل عنبا وليس في مكة كلها حبة واحدة من العنب..؟.

أقسم لكم صادقة فيما قلت.

لم يجد المشركون إلا أن يصدقوا الفتاة، رغم أن الحكاية أبعد من تصديقها.

ولكنهم لم يدركوا أن خبيب في ذمة الله، وأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، كما كان يرزق السيدة مريم من قبل، التي لم تذهب إلى السوق، أو تخرج من صومعتها، كان سيدنا زكريا يرى عندها الكثير من الخير، ويرى فاكهة الصيف والشتاء في آن واحد، فيتعجب ويسألها:

من أين لك هذا يا مريم..

فتبتسم مريم وتقول:

هو من عند الله.

..(.. وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ..)

وهذا هو حال المتقين الأصفياء مع الله، وهذا هو الجزاء الذي يمن به الله سبحانه على من أخلص لله حقا.

ولا شك أن خبيب واحد من المخلصين مع الله، وذلك منذ أن دخل الإسلام قلبه، وآمن مع أهل المدينة عند رؤية رسول الله ﷺ أول مرة، فامتلأت روحه عذوبة، وفاضت نفسه طيبة، حتى وصفه الشاعر حسان بن ثابت قائلا:

صقرا توسّط في الأنصار منصبه

سمح الشجيّة محضا غير مؤتشب.

وأراد المشركون أن يساوموا خبيب على إيمانه بالله والنبي محمد ﷺ، وأشاروا له بأنهم سوف يعفون عنه إذا كفر بمحمد وإله محمد ﷺ.

لكن هيهات... أين خبيب الآن..؟. هو مستغرق في عالمه العلوي، متنعم بذكر الله، فلم يرد عليهم، كأنه لم يسمع شيئا.

أدرك المشركون أنهم لا يستطيعون إغوائه أو زحزحته عن إيمانه بالله ورسوله ﷺ، فنقل جبل من جبال مكة، أهون عندهم من نزع الإيمان من قلبه.

أصابهم اليأس، فأخبروه أن صاحبه زيد من الدثنة لقى مصرعه من هو التعذيب.

وما يريدون بذلك إلا إدخال الرعب والخوف في قلبه، لعله يكفر برسول الله ﷺ كما يريدون.

لكنهم لم يحركوا منه ساكنا، فمازال خبيب هناك في عالمه العلوي مع الله سبحانه، حتى وصل بهم اليأس عن آخره، فلم يجدوا إلا ان يقتلوه ويستريحوا منه.

انتشر بين الناس نبأ اعتزامهم على قتله، فهرع أهل مكة برجالها ونسائها، وشيوخها وأطفالها، يشاهدون مقتل هذا الرجل العجيب، الذي عذبهم بصمته وقوة إيمانه.

وساقوه مكبلا إلى مكان واسع يسمى التنعيم، وصنعوا صليبا على جذوع النخل، ووضعوه عليه، واحكموا وثاقه جيدا، ليكون أول عربي يصلب على صليب بعد التعذيب الشديد، وبدأوا في توجيه السهام ورفع السيوف.

وهنا رفع حبيب رأسه، بعد السكون الذي كاد يقتلهم، وتحرك لسانه بعد الصمت الطويل، ففرح المشركون، وظهرت على وجوههم علامات السعادة، ظنا منهم أن الخوف بدأ يسري في نفسه.

لكن خبيب خيب ظنونهم، وطلب منهم أن يتركوه ليصلي ركعتين قبل أن يقتلوه.

علت الأصوات، منهم من يريد قتله بأسرع ما يمكن، ويدعي أن خبيبا مراوغ ، يريد أن يضيع من أوقاتهم، ومنهم من رأى أن يسمحوا له ببعض الوقت، ليصلي كما يشاء، عسى أن يراجع نفسه ويكفر بمحمد ﷺ كما يريدون.

وأخيرا سمحوا له، وتركوه يصلي ركعتين أمام الناس، وهم يأملون أن يعلن الكفر برسول الله ﷺ.

كانت الأنظار تتعلق بالصحابي الجليل وهو يصلي، يتعجبون لقمة الخشوع والاستسلام الذي هو عليه، ولحلاوة الخضوع الذي

يشعر به لخالق السموات والأرض، فلو اطلعوا ما في قلبه الآن، لعرفوا أنه لا يريد من الدنيا إلا أن يظل مصليا عابدا لله وحده.

وبعد أن انتهى من الركعتين، قال لهم:

والله لو لم تظنوا بي جزع من الموت، لظللت في صلاتي إلى ما شاء الله.

فهاج المشركون غضبا، وأخذ البعض يسبه بأفظع الكلمات، والبعض الآخر يرجمونه بالحجارة، حتى النساء والأطفال، الكل يتزاحم، يريد ان يفتك بهذا الصحابي الجليل، لأنه أضاع من وقتهم، دون أن يعود عن دين الله.

ثم سكتوا حين رفع يده إلى السماء، يناجي ربه، وسمعوه وهو يقول:

"اللهم احصهم عددا ..واقتلهم بددا.."

ثم نظر في وجوههم نظرته الهادئة، وأنشد قائلا:

ولست أبالي حين أُقتل مسلما

على أي جنب كان في لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزّع

وصل الغضب بالمشركين إلى آخره، وبدأوا يقطعون من جسده بهدوء، قطعة بعد قطعة، إمعانا في التعذيب والتشفي، وربما يخرج من صمته ويتأوه أو يصرخ، أو يطلب العفو منهم، لكنه مازال في سكينته وهدوءه، لم يعرفوا أن روحه ومشاعره وكل حواسه، ترفرف هناك في عالمه الملائكي، مشغولة بذكر الله، يضئ وجهه نورا، لا يلمس نوره إلا من كان به ذرة إيمان.

وفي وسط الصخب والصيحات، يسأل أحد المشركين قائلا:

" أتحب أن يكون محمد مكانك، وأنت سليم معافى في أهلك..؟.

اهتز له خبيب، عاد من عالمه الملائكي غاضبة، ونظر إلى صاحب السؤال وقال:

" والله ما أحبّ أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول لله بشوكة.."

وهنا صاح أبو سفيان مزمجرا، وكان وقتها مازال مشركا، متعجبا مثل الجميع، وقال:

"والله ما رأيت أحدا يحب أحدا كما يحب أصحاب محمد محمدا"

اشتد غيظ المشركين، وأدركوا أنه لا جدوى مع رجل قلبه عامر بالإيمان مثل خبيب، ولذلك انهالوا بالسيوف والرماح.

وفي الوقت الذي تصعد روحه الطاهرة إلى ربها، رفع رأسها إلى السماء، تطلع فيها بإمعان، لفظ دعوته الأخيرة، وهو على يقين أنها سوف تحمل فوق الغمام، وإنها سوف تصل إلى رسول الله ﷺ، قائلا:

"اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يصنع بنا.."

وسرعان ما حمل الغمام دعوة الشهيد خبيب بن عدي، وألقاها بإذن الله تعالى على قلب وأذن رسول الله ﷺ، وتجلى له الله سبحانه، وأطلعه على الأحداث التي جرت لصاحبيه.

وعلى الفور، أمر رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو، والزبير بن العوّام، بالسفر إلى مكة،وإنزال جثمان خبيب بن عدي من الصلب، وإكرامه بدفنه.

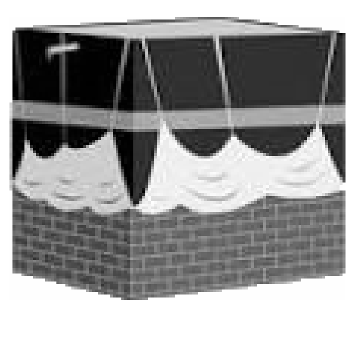
ركب الصحابان فرسهما، وقطعا الطريق ليلا إلى مكـة، حتـى بلغ التنعيم، المكان الذي أاستشهد فيه الصحابي الجليل.

وعندما قاموا بإنزاله من فوق جذع النخلة الذي كان عليهـا، تعجبا عجبا شـديد، لأن الطيـور الجارحـة لم تقـترب مـن جـسده الشريف، كأنها استحت أن تمتد بمناقيرهـا إليـه، في الوقـت الـذي أزهق المشركون روحه غلا وحقدا وكرها.

ثم قاما بدفن جسده الشريف في مكان لم يعرفه أحد حتـى الآن.

❖❖❖

سعيد بن عامر الجمحي



-٣-

دموع الوالي

سعيد بن عامر الجنحي



يـا أهـل مكـة.. هلّمـوا إلى أرض التنعيم.. هلّموا لتـشهدوا مقتـل صـاحب محمد.

هكذا كان المنادي يـدور في شـوارع مكة، يـدعو النـاس لتـشهد مقتـل الأسـير المـسلم " خبيـب بـن عـدي" صـاحب محمد، والذي استطاعت قريش من أسره بعد معركة بدر.

كان سعيد بن عـامر، يجلـس تحـت ظلال عدد من نخيل مكة وقت الـضحى، بين أصحابه الفتيان.

سمع مثلهم نداء المنادي، لكنه لم يعر اهتماما لما جـاء إلى مـسمعه، ولوّح بظهر يده في الهواء، كأنه ينفض عن أذنه هذا نداء،

نظر إليه أحد أصدقائه وقال:

ما بك يا سعيد.. أراك غير مهتم بما يفعله أهل مكة بالأسير.

ولم أهتم.. هذا أمر لا يعنيني.

فرد آخر في حماسة، وكأنه يهاجم سعيد:

ألم يعنيك مقتل كبار وشباب قريش في بدر، على يد محمد وأصحابه..؟. ألم يكونوا من أهلك وعشيرتك..؟.

التفت سعيد إليه في هدوء وقال بهدوء أكثر:

لماذا تحسبون النتائج... وتتجاهلون الأسباب.؟.

أثارت هذه الكلمات انتباه الشباب كل من حوله، فأصغوا إليه وهو يقول:

أولا لست تابعا لمحمد، ولم يجمعنى به مجلس ما، ولكن الحقيقة كما عرفت من جرحى المعركة، أن محمدا لم ينوي حربا، وأبو الحكم هو الذي جر أهل مكة وقبائلها للحرب، مغترا بالعدد والعدة والعتاد، فذهب الرجال إلى الحرب، إلا العقلاء الذين عادوا بقبائلهم، وهم الذين لم يجدوا سببا مقنعا للحرب، فكانت النتيجة المخزية.

نظر الجالسون في وجوه بعضهم، أسكتهم الذهول لحظة، وكأن الحقيقة أذهبت بعقولهم، ثم قال أحدهم:

لا يهمنا الأسباب الآن.. ولكن تهمنا النتيجة.

التفت سعيد إليه بوجه باسم، ثم قال:

إن لم تهمك الأسباب، فلا تتعجب من النتيجة.

بدأت الناس تفكر في كلمات سعيد بن عامر، وبدأت حدة الكراهية لرسول الله ﷺ تنكسر قليلا، وتحولت العقول إلى أن يلوموا أبا الحكم، ولكن لا يستطيع أحد أن يتفوه بذلك، فما زالت هيبته تعيش في نفوسهم رغم أنه قتل.

ثم أراد أحد الجالسين أن يكسر هذا الصمت، فقال:

هيا يا رجال لنشهد مقتل الأسير، والذي يقال عنـه أنهـم قتـل الكثـير من رجال مكة، وأعاد لها جرحى مازالوا يعانون آلام ضرباته.

بهذه الكلمات، عادت الكراهية إلى محمد وأصحابه من جديد، بعد انكسار حـدتها بعـض مـن الوقـت، ونـسيت العقـول التفكـير في أسـباب الحرب.

قامت الناس من جلستها، متوجهة إلى أرض التنعـيم، وقلـوبهم تلتهب غضبا وكرها لمحمد وأصحابه.

إلا سعيد بـن عـامر، مـازال في جلـسته، فهـو لم يهـتم بـأمر محمـد وأصحابه، ولم يهتم بما تفعله مكة.

لكن أحدهم سأل سعيد:

ألم تأت معنا يا سعيد..؟.

لا أحب رؤية الدماء، ولا شأن لي بما تفعله مكة.

تعالى يا رجل.. فلن يضرك شئ.

ومدّ الرجل يده إلى سعيد بن عامر، الذي قام متكاسـلا، وسـار معـه إلى أرض التنعيم.

وهناك.. رأى سـعيد أهـل مكـة، نـسائها ورجالهـا، كبيرهـا وصـغيرها، يتزاحمون حول رجل على صليب صنعوه من الخشب، معلق على جذوع النخل، والجميع يتصايح، اقتلوه.. اقتلوا هذا المحمدي الـذي قتـل الكثـير من رجالنا، ورمّل نسائنا ويتم أطفالنا".

ورأى سعيد العصى تتهاوى على المصلوب من كل جانـب، والحجـارة تعبر رووس الواقفين، تأتي من هنا وهناك، تصيب الرجل في كل جزء منه.

وأثار سعيد بن عامر سكينة الرجل، والاطمئنان الذي عليـه، ونظرتـه في الناس بكل هدوء، يتمتم بكلمات لم تصل إلى أذن أحـد، كأنـه في عـالم آخر، رغم الدماء الذي يسيل من كل جزء في جسده.

دفع الفضول سعيد بن عامر لسماع تمتمات الرجل، فزاحم مع المتزاحمين، وساعده في ذلك طوله الفارع، وعضلاته القوية، حتى أصبح من أقرب الناس للرجل المصلوب.

حاول أن يسترق السمع، لكن صيحات كانت عالية، فوقف يتأمل الرجل في هدوئه وسكينته.

حتى رفع الرجل رأسه، وقال كلمات لم يسمعها أحد، فأشار سفيان أبن حرب للناس بالسكوت، حتى يسمعوا ما يقوله الأسير، وكان سفيان وقتها من أئمة المشركين.

ثم علا المشرك صفوان بن أمية بصوته، وصاح في الناس بالسكوت عن صيحاتهم، فسكتوا، وسمعوا الأسير وهو يقول بصوت هادئ مستكين:

" إن شئتم أن تتركوني أركع ركعتين قبل أن تقتلوني.

تعجب سعيد لأمر الرجل المقبل على الموت، والذي يعرف أنه سوف يموت حتما، ولكنه يطلب من قاتليه أن يتركوه ليصلي ركعتين لربه.

" من هو ربك الذي يستحق أن تصلي له في هذا الوقت أيها الرجل..؟. وما الذي يجعلك أن تتمسك بالصلاة والعبادة لرب لم نراه ولم نلمسه مثل آلهة قريش..؟. إذن هو رب عظيم حقا.. عظيما لأنه ملك عليك كل مشاعرك وحواسك، وهانت عليك الدنيا بما فيها لأجل الصلاة له.".

هكذا كان سعيد بن عامر يحدث نفسه، ثم نظر للرجل بعد أن فكوا وثاقه، فرآه يستقبل القبلة، وقام وركع وسجد في طمإنينة شديدة جدا.

ما أحلى هاتين الركعتين، وما أحسنهما، رغم الدماء والإعياء من شدة التعذيب.

وبعد أن انتهى من الركعتين، نظر الرجل في الناس وقال:

" والله لولا أن تظنوا أني أطلت الصلاة جزعا من الموت، لاستكثرت من الصلاة"

وهنا صاح المشركون الذي يتصدرون المشهد، وقالوا علقوه كما كان، وافعلوا به ما تشاءون.

فانهالت الناس عليه بالحجارة، وبالعصي، ويقطعون من جسده بالسكين قطعة بعد قطعة، والرجل لم يتحرك منه ساكنا، كأن هذه الضربات لم تمسه بشئ، أو أنها بردا وسلاما عليه، حواسه ترفرف هناك في عالم ملائكي، مشغولة بذكر ربه، يضئ وجهه نورا.

اغتاظ المشركون، ثم سأله احدهم ساخرا:

- " أتحب ان يكون محمد مكانك، وانت سليم معافا في أهلك..؟.

جرت رعشة في جسد خبيب، كأنه لدغ لدغة موجعة، وعاد من عالمه الملائكي، نظر في الناس ثم قال بكل طمإنينة:

" "والله ما أحبّ أن أكون في أهلي وولدي، ومعي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول لله بشوكة.."

وهنا صاح أبو سفيان مزمجرا متعجبا مثل الجميع، وقال:

"والله ما رأيت أحدا يحب أحدا كما يحب أصحاب محمد محمدا"

وأدرك أهل قريش أنه لا جدوى مع رجل قلبه عامر بالإيمان مثل خبيب، ولذلك إنهالوا بالسيوف والرماح.

وفي الوقت الذي تصعد روحه الطاهرة إلى ربها، رفع رأسها إلى السماء، تطلع فيها بإمعان، لفظ دعوته الأخيرة، وهو على يقين أنها سوف تحمل فوق الغمام، وأنها سوف تصل إلى رسول الله ﷺ، قائلا:

"اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يصنع بنا.."

لم تمر أحداث مقتل خبيب بن عدي على قلب سعيد بن عامر بسلام، مثلما مرت على أهل مكة، لقد عاشت في وجدانه أكثر الوقت، يتساءل :

" لماذا أحب الناس في المدينة محمد بن عبدالله بهذا الشكل الكبير..؟. حتى أن خبيب يرفض أن يعيش منعما، ومحمد بن عبد الله تشوكه مجرد شوكة..؟.

لماذا يتمسك المسلم بدينه لدرجة الموت..؟.

لابد أن يكون هناك سر كبير في هذا الدين.

وأخيرا أدرك سعيد أن هناك شئ أسمه العقيدة.

نعم.. العقيدة التي مات في سبيلها خبيب بن عدي، والذي جاهد من أجلها، واحتمل في سبيلها كل هذا الهوان.

عقيدة بأنه ليس هناك إله أحق بالعبادة غير خالق هذا الكون ، بما فيه وما عليه، ورازق كل مخلوق.

كما أدرك سعيد أن محمد بن عبد الله نبي حقا، لأنه من المستحيل أن يجد رجلا يحبه أصحابه بهذه الدرجة الكبيرة.

لقد رأى أصحاب محمد ما لا يراه أشراف مكة، وعقلوا عقيدته التي جاء بها، فعرفوا حقيقته التي يجهلها الكثير من أهل مكة.

كان شعاع الإيمان يكبر في قلب سعيد بين اللحظة والأخرى، ويطرد ظلمة العقل والقلب بداخلة شيئا فشيئا، حتى سطع نور الله في قلبه عن

آخره، فانفجر سعيد نورا، وأعلن إسلامه في ربوع مكة، متبرأ من أوثان قومه، ومن عاداتهم وتقاليدهم، ثم هاجر إلى المدينة، على مرأى الجميع.

فرح سعيد بلقاء رسول الله ﷺ، وصدق في إسلامه، ولزم مجلس رسول الله، وخرج معه في غزوة خيبر، فكانت أول الغزوات التي يحضرها سعيد، ثم توالت الغزوات بعد ذلك، لم يتخلف سعيد عن واحدة مهما كانت الأعذار، لقد رأى أن متعة الإيمان في الجهاد، حتى أختار الله رسوله ﷺ إلى جواره.

لم يمت إيمان سعيد بوفاة النبي ﷺ، ولم يطلب راحة لجسده عن الجد والإجتهاد، فظل يواصل الجهاد في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جهاد النفس عن شهوات الحياة ومتعتها، والجهاد بالسيف ضد أعداء الدين، فصدق ما عاهد الله عليه.

حتى توفي أبو بكر أيضا، وتولي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- الخلافة.

❖❖❖

ذات ليلة صيفية، تملكت الحيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

يتساءل مع نفسه:

" من سيخلف ولاية حمص بعد عزل معاوية..؟.

لم يعزل معاوية لعلة ما في معاوية نفسه، ولكن عزله لأنه لم يستطع السيطرة على أهل حمص المولعين بالتمرد على الحكام، و المولعين بالجدل الدائم.

قلّب عمر في رأسه الكثير من شخصيات الصحابة، فلم يعثر على أحد ليكون جديرا بولاية حمص المتمردة، فهو يريد قديسا زاهدا عابدا، لا يغريه ثراء الشام، والتى كانت وقتها مركزا هاما للتجارة.

هبت نسمة هواء ساخنة، زادت من حيرة عمر، فلجأ إلى الصلاة، عسى آن يهديه الله إلى الصواب.

كان عمر أحرص الناس في اختيار الولاة على البلاد، فهو يعرف أن الله يجازي الوالى ومن ولاه إذا أخطأ، ولذلك كانت الحيرة في هذا الأمر تؤرقه.

وبعد أن انتهى من الركعتين، جاء صيف المدينة بنسمة رطبة، ملأ عمر صدره منها، ثم سمع طرقات على الباب، فإذا بسعيد بن عامر، فتهلل وجه عمر بالبشر والسرور، لقد ساق الله إليه أجدر الناس بولاية حمص، ومثالا للزهد والورع، فكيف غاب عن ذهنه هذا الرجل.

جلس بجواره، وقال سعيد:

يا عمر.. أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم.

سكت عمر بن الخطاب، حتى انتهى سعيد بن عامر من سرد نصائحة، ثم رفع رأسه وقال:

ومن يستطع ذلك يا سعيد..؟.

يستطيعه رجل مثلك ممن ولاهم الله أمر أمة محمد، وليس بينه وبين الله أحد.

قال عمر الحمد لله أنك أتيت يا سعيد..

فهز سعيد رأسه، إشارة إلى أنه لم يفهم ماذا يقصد عمر بن الخطاب بقوله هذا.

فقال عمر:

يا سعيد.. إني مولوك على أهل "حمص".

هبّ سعيد واقفا، كأنه لدغ، وقال في صوت المسترحم المستعطف:

أرجوك يا ابن الخطاب، لا تفتنني بأمر من أمور الدنيا، واعفني من هذه المهمة.

فهب عمر واقفا هو الآخر، وضع وجهه في وجه سعيد، وامسكه من جلبابه وقال معنفا إياه:

ويحكم يا صحابة رسول الله.. تضعون مسئولية الحكم في عنقي، ثم تريدون أن تتخلو عنى.

عاد سعيد إلى جلسته ساكنا خاضعا، يطل من رأسه شعاع من الندم، لأنه جاء إلى عمر في هذا الوقت.

لكن عمر خلعه من الندم الذي أحاط به، وجلس بجواره، ثم قال بصوت هادئ:

يا سعيد.. لا يقام عدل في الأرض، إلا إذا وفق الله الحاكم في اختيار أعوان من الصالحين، وأنا أراك من أقدر الناس بهذه المهمة.

في المسلمين كثير من الصالحين غيري يا عمر.

نعم.. وأنت منهم يا ابن عامر.

وسكت سعيد بن عامر خاضعا للأمر، وقبل ولاية "حمص" على مضض، وهمّ بالإلانصراف.

لكن عمر قال:

ماذا لو فرضنا لك رزقا يعينك على الحياة في "حمص" يا سعيد..؟.

وضع سعيد رأسه في الأرض، وكاد أن يبكي، ثم قال:

وما أفعل به يا عمر، وما يأتيني من بيت مال المسلمين يكفي حاجتي..؟.

هكذا هم الرجال الذين تربو في مدرسة رسول الله ﷺ، يخافون من الدنيا وزينتها، يخشون فتنة المناصب وبريقها، لا يعملون من أجل الدنيا، ويجتهدون من أجل الآخرة.

لم تنته قصة سعيد بن عامر بولاية حمص، لقد كان منه في فترة ولايته ما يثير العجب، وما سطره التاريخ عن رجل في قمة الزهد والتقوي.

وذلك حين جاء وفد من "حمص" إلى أمير المؤمنين عمر، وجلسوا معه، ثم طلب منهم أن يكتبوا أسماء الفقراء في حمص، حتى يسد حاجتهم من بيت مال المسلمين.

فقدموا له ورقة مطوية، بها أسماء الفقراء، فتحها عمر، وراح يقرأ ما بها.

ثم استوقفه إسم لم يكن غريبا عليه، فنظر إلى الوفد وسألهم:

من هو سعيد بن عامر

فقالوا له:

الرجل الذي وليته علينا يا أمير المؤمنين.

تعجب عمر، وسألهم في دهشة:

أميركم فقير.؟.

نعم يا أمير المؤمنين، والله أنه لتمر عليه الأيام الطوال، ولم يوقد في بيته نار.

وضع عمر بن الخطاب وجهه في كفيه، وراح في بكاء شديد، حتى علا صوته بالأنين، وابتليت لحيته بالدموع.

كان بكاء عمر رثاءا وشكرا، رثاءا لحال الرجل الزاهد الذي جعله أميرا على حمص، وشكرا لله لأنه وفقه في اختيار من يعاونه على ترسيخ دولة العدل في الأرض.

ثم أصر عمر ألف دينار في قطعة من القماش، ودفعها إليهم، وقال:

بلغوه منى السلام، وقولوا له أن عمر أرسل لك ألف دينار لتستعين بها على قضاء حاجتك.

❖❖❖

حين وصل الوفد العائد إلى "حمص"، كان الوقت مساء، ونسمات باردة تهب بين الحين والآخر، تخترق حرارة الجو الحار، تلمس أنف سعيد بن عامر، فيأخذ شهيقا طويلا، عسى أن يدخل شيئا من البرودة إلى صدره، وهو يقرأ ورد من القرآن كعادته.

جاء الباب بطرقات خفيفة، إنقبض قلب سعيد، لم يعرف لماذا..؟.!. رغم أن الجميع يشهد له بالعدل منذ أن تولي على أهل حمص، وليس مدين لأحد.

قال:

" صدق الله العظيم.. خير يارب"

وقام نحو الباب، فدخل الوفد، أعطوه الصرة، ثم انصرفوا بعد أن أبلغوه رسالة عمر بن الخطاب.

نظر سعيد إلى الصرة الملقاة أمامه بجزع، جرت رعشة في جسده، ثم مد سبابته إلى الصرة، تحسسها بخوف، تأكد أنها ألف دينار حقا.

فبكي بشدة، وإنطلق لسانه يردد

"إنا لله وإنا إليه راجعون "

ثم علا صوته كأنه يتحدث إلى رجل أمامه ويقول:

." لماذا يا ابن الخطاب..؟. لماذا تريد أن تـدخل الفتنـة بيتـي..؟. لمـاذا تريد أن تفسد آخرتي"

أسرعـت زوجتـه مـذعورة، دخلـت عليـه، فرأتـه يـدفع عـن نفـسه الصرة، كأن بها ثعبان يخيفه، فسألته:

مـا بـك يـا زوجـي.. هـل حـدث مكـروه لأمـير المـؤمنين عمـر بـن الخطاب..؟.

الأمر أعظم من ذلك يا زوجتى..؟.

هل حدث مكروه للمجاهدين في معركة ما..؟.

بل أعظم

تعجبت زوجته.. وتساءلت مع نفسها.. إن لم يكـن هـذا وذاك.. مـا الأمر الذي يبكي زوجها بهذه الطريقة..؟.

وقبل أن تسأله عن الصرة التى أمامه، قال وهو يشير إليها:

أعينيني يا زوجتى على هذه الفتنة...

ما هذه الصرة..؟.

ألف دينار.. أراد عمر أن يفتنني بها.

ابتسمت زوجته لكي تهون عليه الأمر، ثم قالت:

أمير المؤمنين لم يشأ فتنتك كما تظـن، ولكنـه يبـدو أنـه علـم بحالنـا، فأراد أن يساعدنا.

يا زوجتى..الحمد لله على نعمة القناعة التي أنعم الله بها علينا.

إذن خذها و تصدق بها على الفقراء.

نظر إلى زوجته، ثم حمد الله على نعـم الزوجـة،وخرجت إبتـسامة الرضا على وجهه المغتسل بالدموع،

وسرعان ما اختطف الصرة، ودسها في جيبة، وخرج يـتلمس بيـوت الفقراء مـن المـسلمين في ظـلام الليـل، ووزع الألـف دينـار، وعـاد هـادئ النفس كمان كان، يشعر براحة تامة، كمن أزاح عن نفسه هموم الدنيا.

❖❖❖

مازال هناك في حياة هذا الصحابي الجليل، الكثير من المواقف التـي يفخر بها الإسلام والمسلمون، والتي قلما أن نجدها في رجل مهما وصـلت درجة إيمانه.

فبرغم أن سعيد بن عامر يشارك أهل حمص أفـراحهم وأطرحـاهم، وبرغم أنه يعيش أفقر الناس بينهم، يأكل مثل فقيرهم، ويلـبس مثـل مـا يلبسون، ولـيس لـه راتبـا إلا بحكـم عملـه كـوالي، يأخـذ منـه مـا يكفيـه وزوجته، ويوزع الباقي على الفقراء والمساكين.

وحتى في توزيع الصدقات، لم يميز أحد من أقاربـه أو مـن أصـهاره، فهو لم يبع رضوان الله برضا أقاربه، أو يشتري طيبات الحياة بفائض راتبه، لأنه يبتغي جنة الآخرة، عن طيبات دنيا زائلة.

ورغم هذه التقوي التي عليها سعيد بن عامر، ورغم حبهم لـه، إلا أن أهل حمص عادوا إلى طبيعتهم المتمردة، عادوا إلا الشكوى منه.

وعندما علم عمر بشكواهم، ركب دابته غاضـبًا، وسـار إلى حمـص، وهو يتساءل:

" ماذا حدث لـ سعيد يا ابن عامر..؟."

" هل فتنته الدنيا..؟.

" هل بريق المنصب أغراه فباع آخرته..؟."

" هل أسأت أنا إختياره لولاية "حمص"..؟.

هكذا ظل عمر يتساءل ويتحدث مع نفسه طوال الطريق، حتى وصل إلى "حمص"، إستقبله أهلها، وأجلسوهم في مكان واسع، بجواره سعيد إبن عامر، ثم وقف واحد منهم يسرد شكواهم من أميرهم، وقال:

" يا أمير المؤمنين، نحن نشكو إليك من أميرنا الذي وليته علينا.

فقال عمر:

وما هي شكواكم..؟.

هو لا يخرج إلينا إلا إذا علت الشمس في كبد السماء، ولا يرد على أحد في الليل، ولم نراه يومين في الشهر، غير انه يذهب في غيبوبة بين الحين والآخر.

تعجب عمر من هذه الشكاوى الغريبة، ولكنه حمد الله في سريرة نفسه، لأنه فراسته في اختياره واليا لم تخب، فهو أكثر الناس ورعا تقوى.

ولكن.. كيف يجيب بن عامر على هذه الشكاوى..؟.

التفت عمر إلى سعيد وسأله:

ما قولك يا سعيد فيما سمعت..؟.

أطرق سعيد بوجهه في الأرض صامتا، كأنه يبحث عن إجابة.

لكن عمر علا بصوته بعض الشئ وقال:

قل يا ابن سعيد، دافع عن نفسك فيما سمعت.

رفع سعيد وجهه وقد اغتسل بالدموع، وقال بصوت ضعيف مغمور بالخجل:

والله كنت أكره ذكر أسباب كل شكوى من شكاياتهم، ولكن سوف أقول:

" أما قولهم أني لا أخرج إليهم إلا عند الظهر، لأنه ليس لأهلي خادم، فأنا أعجن عجيني، ثم أدعه يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ للضحى، ثم أخرج اليهم.."

ظهر البشر ملامح عمر، وحمد الله في نفسه لأنه لم يخيب في سعيد، ثم قال:

- وماذا بعد يا سعيد:

- وأما قولهم :أني لا أجيب أحدا بالليل، فهذا لأني جعلت النهار لهـم، والليل لربي.."

أما قولهم :أن لي يومين في الشهر لا أخرج فيهما، هذا لأنـه فلـيس لي خادم يغسل ثوبي، وليس بي ثياب ابذلها، فأنا أغسل ثـوبي ثـم أنتظـر أن يجف ، ثم أخرج إليهم.

وأما قولهم :أن الغشية تأخذني بين الحين والحين..

وهنا سكت سعيد عن الكلام، وعلا أنين يقطـع صـمت الحـاضرين، الكل ينتظر العلة التي يذهب بسببها في غيبوبته بـين الحـين والأخـر، مـا هي هذه العلة يا ترى..؟. يتعجبون من أمر هذا الرجل الذي سما بتقواه عن متاع الدنيا.

مر بعض الوقت، ثم قال عمر:

قل بالله عليك يا ابن عامر:

رفع رأسه مرة أخرى، وقد ابتلت لحيته بالدموع، وقال:

" الغشية تأخذني كلما تذكرت خبيـب بـن عـدي وهـو مـصلوب في مكة، والمشركون يقطعون من لحمة قطعة بعد أخرى، بعـد أن تفننـوا في تعذيبه.

وسمعت أحدهم يسأله:

أتحب أن يكون محمدا مكانك..؟.

فقال خبيب: " والله ما أحب أن أكون آمنا في أهلي وولدي، ورسـول الله تشوكه شوكة".

كنت وقتها لا أعرف شيئا عن الإسلام.

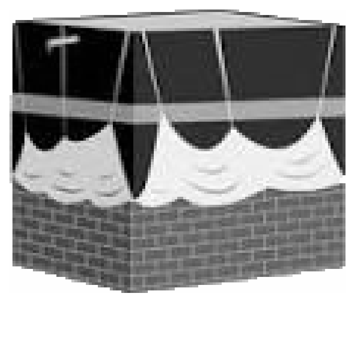
فكلما تـذكرت خبيـب، وتخيلـت مـصرعه، أظـن أن الله لم يغفـر لي لأنني لم أنصره، فتصيبني الغشية التي يلومونني عليها..

وهنا علا صوت عمر بن الخطاب بالتكبير والتهليل، وحمد الله لأنـه لم يخذله في فراسته، وعانق سعيد بشدة، وهنأه على تقـواه وورعـه، كـما هنأ أهل حمص بأميرهم.

هكذا عاش سعيد بن عامر، ورعا تقيا نقيا، حتـى لقـى ربـه، وروى شـوقه برؤيـة الرسـول الكـريم بـإذن الله تعـالى، ومرافقتـه في الجنـة مـع السابقين الأوائل، الذين سطروا تاريخ الإسلام بنور لا يمكن أن يخبو، مهما عبثت به أيدي المؤرخين الكارهة الحاقدة للإسلام والمسلمين.

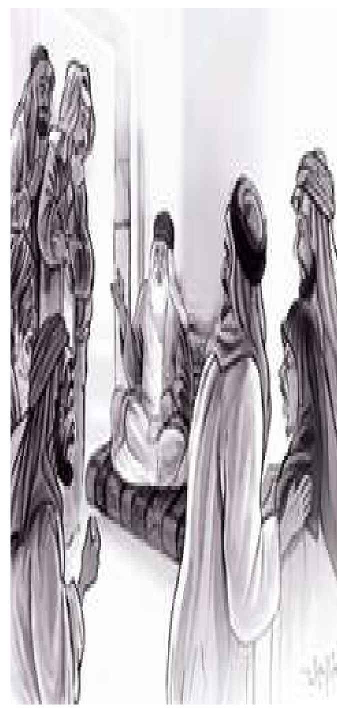
❖❖❖

عبد الله بن مسعود



-٤-

عبد اللّه بن مسعود



تحت وطأة الشمس الحارقة، وخارج حدود مكة.

كان الصبي عبدالله بن مسعود، بجسمه النحيف، وقامته القصيرة، يسير بغنم قبيلة هذيل.

لم يتوقع أن يكون في هذا المكان، وفي هذا الوقت الشديد الحرارة أحد غيره، إلا راعي غنم مثله.

فإذا برجلين يخرجان من شعاب مكة.

ورغم الوقار الذي يبدو على هيئتهما، إلا أن الإرهاق والتعب أخذ من عافيتهما، وتشققت منهما الشفاه من شدة الظمأ.

تقدما إليه، وسلما عليه بكل أدب، ثم سأله أحدهما قائلا:

- يا غلام..احلب لنا شاة نطفئ بلبنها الظمأ، ونبل به العروق.

ابتسم الصبي عبدالله بن مسعود، وقال:

- لا يمكن لي ذلك..لأنني مؤتمن علي هذه الغنم، وهي ليست ملكي.

لم يعرف الصبي أن محدثه رسول الله ﷺ، وصاحبه أبا بكر الصديق.

أعجب رسول الله ﷺ وصاحبه بأمانة الصبي.

ولكن رسول الله ﷺ قال له:

- دلني على شاة صغيرة، لم ينزل فيها اللبن.

تعجب الصبي، وسأل نفسه.

" ماذا يفعل هذا الرجل بشاة صغيرة لم ينزل فيها اللبن.؟.

ثم أشار له إلى شاة صغيرة ضعيفة.

اقترب منها النبي ﷺ ، و بدأ بالبسملة، ثم مسح على ظهرها، فإذا بضرع الشاة يكبر شيئا فشيئا، وامتلأ باللبن، فشرب منه النبي وصاحبه حتى ارتويا، كما شرب الصبي عبدالله بن مسعود هو الآخر.

ثم قال ﷺ لضرع الشاة "انقبضا"

فانقبضا شيئا فشيئا بإذن الله، والصبي يقف تطل من عينيه الدهشة لما يرى.

ثم انصرفا لحال سبيلهما، بعد أن شكراه.

كل هذا، ومازال عبدالله بن مسعود لا يعرف أن الرجلين هما رسول الله ﷺ وصاحبه.

كان يسمع بدعو الإسلام، ولكنه لم يشغل نفسه بها كثيرا، لأن أكثر وقته كان خارج مكة، غير أنه مازال صبيا صغيرا.

وبعد أيام، سمع عبدالله بن مسعود بدعوة الرسولﷺ مرات أخرى، وعرف أنه صاحب المعجزة التي رآها بأم رأسه، فأسرع إلى الإسلام، وأصبح من أوائل المسلمين، ونال شرف خدمة رسول الله ﷺ، ليكون ظله الذي لا يفارقه.

وهكذا تربي عبدالله بن مسعود في بيت النبوة، وتعلم الكثير من رسول اللهﷺ، وتخلق بأخلاقه، فكان أفضل الصحابة قراءة للقرآن، وأفقههم علما بآياته وتعاليمه.

وأخذ ابن مسعود رضي الله عنه من فم الرسول ﷺ سبعين سورة مباشرة.

كان جميل الصوت، حتى أن النبي ﷺكان يقول له: {اقرأ عليّ القرآن.}

يقول:

كيف أقرأ عليك وعليك أنزل؟

فيقول ﷺ:

إني أحب أن أسمعه من غيري .

بدأ بن مسعود يقرأ من أول سورة النساء، حتى بلغ قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً} [النساء:٤١]

فقال ﷺ: حسبك الآن.

توقف ابن مسعود عن القراءة، ونظر يراقب وجه رسول الله ﷺ، فشاهده يبكي.

ورغم أن ابن مسعود كان نحيف الجسم، قصير القامة، إلا أنه كان أكثر جرأة من الكثير.

في الوقت الذي كان يخشى المسلم أن يعلن إسلامه، ذهب إلى كفار قريش، حيث يجلسون في منتدى مكة، متحديا جبابرة مكة.

جلس بالقرب منهم، ورفع صوته بقراءة القرآن.

{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإنسانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرحمن:١

أبو جهل بين الجالسين.

تعجب لجرأة بن مسعود، هـذا النحيـل الـضعيف الـذي لا يتعـدى طوله نصف طول أبو جهل تقريبا.

ويح لهذا الرجل الضعيف النحيف..كيف يجرؤ على قراءة ما جاء بـه محمد بالقرب من مجلسنا.؟.

ثم وجه ابن مسعود كلامه للمشركين قائلا:

هل يستطيع بشر أن يقول مثل هذا الكلام؟ هل سمعتم أجمل من هذه العبارات؟! (الرَّحْمَنُ) (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (خَلَقَ الْإنسانَ) (عَلَّمَـهُ الْبَيَـانَ) (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ).

اغتاظ أبو جهل أكثر؛ وقام يضربه بيده، وابن مسعود لا يتوقف، بل ظل يقرأ ويقرأ، ويضربه أبو جهل، ووهو يعلو بسورة الـرحمن ويـضربه أبو جهل.

ثم أخذ أبو جهل بأذن ابن مسعود وجعل يطوف به في الحرم.

وعاد ابن مسعود إلى الصحابة، والدم يسيل منه ، فقالوا له:

- هذا ما كنا نخشاه يا ابن مسعود.

فرد عليهم بجرأة وإيمان صادق:

- والله ما رأيت أعداء الله أهون في عيني إلا هذه اللحظة.

وعـزم ابـن مـسعود ان يعـاود قـراءة القـرآن بـالقرب مـن مجلـس المـشركين في الغـد مـرة أخـرى، لكـن الـصحابة منعـوه مـن تكـرار هـذه التجربة، لأنهم يسمعون ما يكرهون.

وذات مرة صعد شـجرة الآراك، يريـد أن يأخـذ منهـا عـودا ليكـون مسواكاً للرسول ﷺ.

فهبت الرياح، فاهتزت الشجرة وعليها ابن مسعود، الذي تمايل يمينا ويسارا مع غصن الشجرة بفعل الرياح، فأخذ الصحابة يتضاحكون من خفته ومن دقته.

وهنا قال ﷺ: {أتعجبون من دقة ساقيه! والذي نفسي بيده، إنهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد}.

وعندما جاءت غزوة بدر، لم يتخلف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وكان في صفوف المجاهدين رغم ضآلة جسده، وفي ميدان المعركة،أبلى بلاءا حسنا، حتى أتم الله النصر للمسلمين.

وبعد المعركة، طلب رسول الله ﷺ.من صحابته أن ينظروا ماذا صنع الله بأبي جهل.

فأسرع ابن مسعود، لقد كان في شوق ليري عدو الله بين القتلى.

بحث عنه، حتى وجده مطعونا يصارع الموت، فبادره أبو جهل قائلا:

- لمن الدائرة اليوم.؟.

ابتسم ابن مسعود وقال:

- لله ورسوله.. لقد أخزاك الله يا عدو الله.

اشتد حزن أبو جهل.

لكن ابن مسعود قال:

- أرأيت كيف أخزاك الله؟!

قال أبو جهل:

- وهل أعجب من رجل قتله قومه؟!

فراح ابن مسعود يقطع رقبة أبو جهل بسيفه.

فقال أبو جهل:

- سيفك لا يصلح للذبح، خذ سيفي واقطع رقبتي بسرعة.

كان أبو جهل يريد أن يموت ليرتاح من شدة الألم.

فأخذ ابن مسعود سيف أبي جهل، وصعد على صدره.

فقال أبو جهل:

لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يا رويعي الغنم.

وعندما قطع رقبته، سحبه بخيط من أذنه، ثأرا له لأنه سحبه من أذنه ودار به في مكة، عندما كان يقرأ القرآن.

ذهب ابن مسعود برأس أبو جهل إلى الرسول ﷺ، الذي تبسم وقال:

{هذه بتلك}، أو {الأذن بالأذن والرأس نافلة}

أي سحبك بأذنك في الحرم، وأنت تسحبه الآن بأذنه.

ثم أشار رسول الله ﷺ، إلى رأس أبو جهل وقال:

"هذا فرعون هذه الأمة".

لم تقعد همة عبدالله ابن مسعود ولو مرة، رغم وفاة رسول الله ﷺ.، وعمل تحت قيادة أبي بكر الصديق، ثم قيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وفي عهد عثمان بن عفان، أصابه الضعف الوهن، وأشرف على مرض الموت.

ذهب عثمان بن عفان لزيارته.

جلس بجواره، ونظر إليه نظرة اجلال وتعظيم.

ولم لا.. وهو من أحباء رسول الله ﷺ وصحابته.

ثم سأله:

- ماذا تشتكي يا ابن مسعود.؟.

- أشتكي ذنوبي يا عفان.

- ماذا تتمني..؟.

- أتمنى رحمة ربي.

احتار ماذا يفعل أمير المؤمنين لهذا الصحابي الجليل، الذي بـذل كـل غالي ورخيص من أجل إعلاء كلمة الحق.

ثم تذكر إنه رفض ان ياخذ شئ من مال بيت المسلمين مثـل النـاس، فقال له:

- ماذا لو أمرت لك بعطاءك الذي لم تاخذه منذ سنوات.؟.

أغمض ابن مسعود عينيه، وقال:

- لا حاجة لي به.

- خذه لبناتك يا بن مسعود، لا عائل لهم بعدك.

ارتسمت ابتـسامة سـخرية ويقـين في نفـس الوقـت عـلى وجـه بـن مسعود وقال:

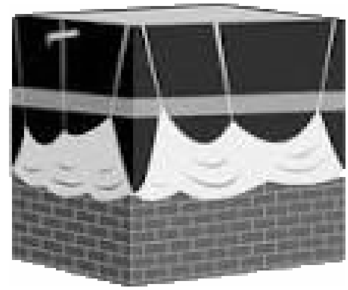
- تركت لهم الله يـا بـن عفـان، فهـو الغنـي، ثـم أننـي اوصـيتهن ان يقرأوا سورة الواقعة كل ليلة، لآني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" من قرأ الواقعة كل ليلة، لم تصيبه فاقة أبدا".

وفي هـذه الليلـة، وعـلى الفـراش، كـان بـن مـسعود يتلـوا أيـات الله كعادته، فإذا بملك الموت، يدخل عليه وهو غمرة التلاوة، فيقـبض روحـه بإذن الله تعالى، ويصعد بهـا إلى المـولى عـز وجـل، ولـسانه رطـب بالـذكر وآيات القرآن.

***

حمزة بن عبد المطلب



-٥-

- سيد الشهداء

حمزة بن عبدالمطلب



جلست المرأة العجوز حزينة، تمنت لو أن لها قوة تواجه بها أبا جهل، لفعلت.

لكن ماذا تفعل أمام هذا الجبروت، وهي ضعيفة مسكينة، لا حول لها ولا قوة..؟.

فاستسلمت للحزن، وجلست تبكي.

هكذا كانت المرأة العجوز، التي تسكن في منزلها فوق جبل الصفا، شعرت بالحزن لأنها رأت أبا جهل يسب رسول الله ﷺ، ويشج رأسه بالحجر، حتى سال منه الدم، على مرأى ومسمع أشراف مكة، الذين لم يؤمنوا بدعوة رسول الله ﷺ.

وبينما هي كذلك... فإذا بحمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ، قادما من بعيد، عائدا من رحلة صيد.

ترددت المرأة لحظة، فكرت.

ماذا لو أخبرته بما فعله أبو جهل بابن أخيه.. هل سيأخذ بثأر رسول الله ﷺ، أم يتركه فريسة لأبي جهل وأمثاله لأنه لم يؤمن بدعوته..؟.

ثم قالت في نفسها.. سوف أخبره.. فلم ينقصني هذا شيئا.

نادت عليه.

يا حمزة... يا أبا عمارة... يا سيد قريش.

أسرع إليها حمزة، كان يظن أنها تستجير به من شئ عندها.

- مابك يا إمراة.

إلتقطت المراة أنفاسها ثم قالت:

هل علمت ما فعله أبو جهل مع ابن أخيك محمد..؟.

تغير وجه حمزة، ثم قال في لهجة سريعة:

- لا .. ماذا حدث.. أخبريني بسرعة

- مر أبو جهل على ابن أخيك، وسبه كثيرا، ثم ضربه بحجر فشج رأسه، حتى سال منه الدم.

- وماذا فعل محمد ابن أخي..؟.

لم يرد عليه بشيء، وذهب إلي بيته

- وأين أبو جهل..؟!.

ذهب إلى المسجد.

احمرّ وجه حمزة بن عبد المطلب لما حدث لرسول الله ﷺ، واتجه إلى المسجد، والغضب يتطاير من عينيه، فوجد أبا جهل جالسا بين جمع كبير من الناس، فشق الجمع، حتى وقف على رأس أبي جهل، وضربه ضربة قوية بقوس الصيد الذي كان معه، حتى أدمت رأسه، ثم قال :

- أتشتم ابن أخي وأنا على دينه..!

كانت مفاجأة بالنسبة للجميع، فهم يعرفون أن حمزة لم يعلن إسلامه من قبل.

قام عدد من رجال بني مخزوم، يحاولون نصرة أبي جهل، والرد على حمزة بن عبد المطلب، ولكن منعهم أبو جهل ، وقال:

- دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

وفي هذه الليلة، شرح الله صدر حمزة للإسلام، ثم أعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وحسن إسلامه، وأصبح حصنا آخر لرسول الله ﷺ، مع حصنه الأول عمه أبي طالب.

وفي غزوة بدر، تقدم أحد المشركين للمبارزة، فدعا رسول الله ﷺ عمه حمزة لمواجهة المشرك، حتى لا يقول أحد أن الرسول ﷺ يضحي بغير أهله.

وسرعان ما وثب حمزة كالأسد الجسور، وأوقعه قتيلا، فهلل المسلمين، ثم بدأت المعركة.

لا ينكر أحد شجاعة حمزة في أول معركة في الإسلام، لقد أبلى بلاءا حسنا، حتى أن المشركين كانوا يتجنبون ملاقاته في المعركة، بل كانوا يفرون من أمامه كما تفرّ الشاة من الأسد.

حتى انتهت المعركة بانتصار المسلمين، وكان أكثر الذين قتلوا من المشركين، قتلوا على يد حمزة بن عبدالمطلب.

أثارت غزوة بدر غضب وحقد المشركين على سيدنا حمزة، وخصوصا هند بنت أبي سفيان، تمنت لو أن تأكل من كبده وتشرب من دمه، لأنه قتل أباها وعمها وأخاها.

وانتظرت حتى كانت غزوة أحد، أرسلت إلى وحشي، وهو عبد قوي، يعرف بمهارته الفائقة في استخدام الرمح.

ألقت في حجره حليها وذهبها، وقالت له:

إن قتلت حمزة فلك كل هذا، وأعتقتك أيضا.

فرح وحشي، وأصبح هدفه الوحيد سيدنا حمزة.

راح يبحث عنه، حتى رآه يصول ويجول في ميدان المعركة، فأدرك أن مثل هذا لا يمكن مواجهته، ولا يمكن التغلب عليه إلا بالخدعة أو في وقت الغفلة.

استتر وحشي خلف شجرة، وظل يراقب حمزة في الميدان، مازال يصول ويجول هنا وهناك، حتى اقترب من الشجرة التي يختبئ خلفها هذا الوحشي، والذي يستعد بحربة في يده.

وعندما اقترب سيدنا حمزة من الشجرة، رماه بالحربة على غفلة، دخلت في صدره، وخرجت من ظهره.

ترنح سيدنا حمزة، نظر فإذا هو وحشي العبد، فتعقبه رغم ألامه الشديدة.

ورغم ذلك.. كان وحشي يفر من أمامه هاربا، يخشى أن يلحق به.

لكن سيدنا حمزة وقع شهيدا، بعد أن طارده مسافة بعيدة.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، لقد أرادت هند بنت عتبة أن تشفي غليلها أكثر.

فبعد أن انتهت المعركة بانتصار المشركين، دارت في الميدان، تبحث عن جثة سيدنا حمزة، حتى رأته شهيدا بين القتلى، فشقت بطنه، وأخرجت أحشائه، وظلت تمضغ في كبده رغم مرارة طعمها، إلا وكرها فيه، لأنه قتل أباها وأخاها وعمها.

عندما علم رسول الله ﷺ بما حدث لعمه حمزة، أسرع حيث كان مرقده، فرآه وقد مثلت هند بجثته، فبكى بكاءا مريرا، وحزن حزنا شديدا، ثم رفع رأسه، وقال متوعدا المشركين:

" لئن ظفرت بقريش، لأمثلن بسبعين منهم"

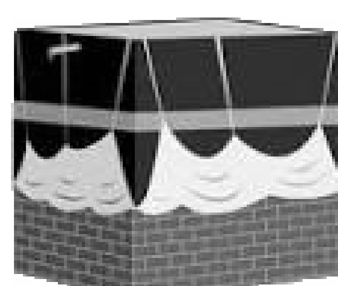
لكن الله لا يريد أن يكون رسوله بهذه القسوة، فهو الرحمة المهداة لجميع البشر، فأنزل الله سبحانه قرآنا على الرسولﷺ، قال فيه:

" وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) "

هذه لمحة من حياة سيدنا حمزة سيد الشهداء، والذي سطر بإيمانه وشجاعته السطور الأولى الناصعة في تاريخ الإسلام، مع الكثير من المجاهدين.

❖❖❖

الطفيل بن عمرو الدوسي



-٦-

شاعر اليمن

الطفيل بن عمرو الدوسي



كانت مكة تشتعل. حربا ضارية، أشعلها المشركون أصحاب النفوذ والجبروت، على قلة ضعيفة قليلة العدد والحيلة من المسلمين.

وذلك حين جاء أمر من رب السماء إلى نبي الأمة، سيدنا محمد ﷺ، بإعلان دعوته في الناس إلى الإسلام، بعد أن كانت سرا في دار ابن الأرقم، شاء الله أن تكون الدعوة جهرا.

سرعان ما استجاب الكثير من الناس إلى دعوة الإسلام، تاركين عبادة أصنامهم، مقبلين بقلوب صادقة وأرواح طاهرة على عبادة إله واحد، لا يشركون به شيئا.

حاول المشركون إيقاف دعوة رسول ﷺ، خوفا على مكانتهم ومصلحتهم الخاصة، والتي تقوم على ظلم الناس واستعبادهم، في الوقت الذي يدعو الإسلام فيه إلى المساواة بين الناس، فلا فرق بين أبيض أو أسود، أسياد وعبيد، فالكل عند الله سواسية.

بدأ المشركون بتخويف الناس من الإسلام، وأدّعو على رسول ﷺبالباطل، فقالوا أنه ساحر مرة، وكاذب أخرى، ومجنون ثالثة.

لكن الله سبحانه أنار بصيرة المقبلين الأوائل على الإسلام، وعرفوا أن إدعاء المشركين باطلا، فأقبلوا على اعتناق الإسلام أكثر.

مما أقلق سادة قريش، فبدأوا في إرهاب الناس، وتفننوا في تعذيبهم بكل قسوة، وإحراقهم بالنار ، وتركهم عرايا في على ورمال مكة الحارقة، دون طعام أو شراب، حتى الموت.

ولكن.. من ذاق حلاوة الإيمان لم يعد للشرك مرة أخرى، مهما كانت الإغراءات، ومهما كانت قسوة التعذيب، حتى يأس المشركون من تمسك المسلمون بهذا الدين الجديد.

وبدأ المشركون يتتبعون رسول ﷺ أينما ذهب في مكة، يكذبونه كلما اجتمع بعدد من الناس، حتى ضاقت مكة أمام رسول الله ﷺ.

اضطر رسول الله ﷺ أن يخرج بدعوته خارج مكة، فذهب يعترض الحجيج والتجار الذين يأتون للحج والتجارة، لكن المشركون طاردوه، ووقفوا على مداخل مكة من كل اتجاه، يستقبلون الوافدين إليها، يحذرونهم من سيدنا محمد ﷺ ودعوته، لأنها تساوي بين السادة والعبيد، وزعموا أنه يفرق بين المرء وزوجه، وبين الأب وابنه، ويشتت جمعهم، ويعيب دين أجدادهم.

وذات يوم، كان الطفيل بن عامر الدوسي، قادما من اليمن لزيارة مكة كعادته، ورأى الحشود تتناثر على مشارف مكة، فتعجب، وتساءل مع نفسه..." لماذا هذه الحشود، ومالي أرى أشراف مكة وكبرائها يقفون مجموعات متناثرة.

ثم إنقبض قلبه، حين رأى أحدهم يشير إليه ويقول:

- هذا الطفيل بن عامر الدوسي، إياكم أن يفلت منكم، وإلا ضعنا.

تعجب الطفيل، وظن أن عليه جرم ما، وأنهم قادمون للاقتصاص منه.

وسرعان ما بحث بعقله في أحداث حياته، فلم يجد أي جرم يدينه، فهمس بينه وبين نفسه:

" ماذا بأهل مكة اليوم.. ألم يعرفوا من الطفيل بن عامر..؟. هل نسوا أنني من نسل أسرة شريفة كريمة في اليمن، وسيد قبيلة دوس، والشاعر الذي ذاع صيته بين القبائل، وتغني بإسمي ونبوغي وشاعريتي كل من يسمع عني، وتمنت الحوامل أن يلدن مثلي، ويشهد بذلك سوق عكاظ، ورواده الذين يأتون من كل مكان، ليستمتعوا بروائع بلاغتي.

ثم سكت عن حديثه مع نفسه، وهدأ قلبه قليلا، حين إقترب منه عدد من الرجال، ترتسم على وجوههم إبتسامة عريضة، قرأ فيها التودد والسرور .

أمسك أحدهم بلجام الخيل، ثم ساعده الباقي في النزول.

وسمع أحدهم يقول لمن حوله:

- أكرموا نزل سيد دوس، وهيئوا له كل أسباب الراحة.

كانت قريش تعلم إذا دخل "الطفيل" الإسلام، سوف يقوي من صلابته، وسيدخل الإسلام الكثير من قبيلته، ويصبح كل ما فيه وكل ما يملك في خدمة الاسلام، حتى موهبته الشعرية المؤثرة، فتكون الطامة على قريش.

ولذلك حاولوا منع لقاءه برسول الله ﷺ.

أحاطوه بالترحاب البالغ، وأعدوا له من أسباب الرفاهية والعبث والمجون، حتى تحجب عنه نداء الإسلام الذي يدوي في ربوع مكة.

والطفيل في ذهول وتعجب، تتزاحم أسئلة كثيرة في رأسه.

ماذا يا أهل قريش.. لماذا هذه الحفاوة التي تولموني بها..؟.

❖❖❖

وفي الليل، كان الطفيل يجلس وسط الغانيات، وأمامه كـؤس الخمـر، تتناثر حول أنواع كثيرة من الفاكهة، ومازال أشراف مكـة يتبـسطون إليـه بالحديث، ويتوددون كأن لهم حاجة عنده.

ثم اقترب أحدهم من أذنه اليسري، وقالأنه يسر إليه بشئ خطير:

يا سيد دوس.. أريد أن أحذرك من أمر ما.

ذهبت الكلمات بتأثير الخمر من رأس الطفيل، ونظر إلى الرجـل في لهفة، ثم قال:

من أي شئ تحذرني يا أخا العرب..؟.

من رجل يدعى محمد.

ومن محمد هذا..؟.

رجل يدعي النبوة.

اتسعت عين الطفيل، ونظر الى الرجـل في دهـشة، ثـم قهقـه عاليـا وقال:

نبوة.. نبوة... ماذا تقول يا رجل.. هل سكرت..؟.

لا.. واللات والعزى ما كذبت عليك.. وأحذرك من هذا الرجل.

في الجهة الأحرى يجلس رجل آخر، مال على أذن "الطفيل" وقال:

- محمد له قولا كالسحر، يفرّق بين الرجل وأبيه.. والرجل وأخيـه.. والرجل وزوجته.. ونحن نخشى عليك وعـلى قومـك منـه، فـلا تكلمـه ولا تسمع منه حديثا.

ثم تقرّب منه ثلاثة من الرجال، وقالوا:

- نعم يا سيد دوس، نحن نخاف عليك من "محمد" هذا.

ذهب الطفيل في الـصمت لحظـة، لكـن أحـد المـشركين أسرع إليـه بكأس من النبيذ، وقال متضاحكا:

- لا تفكر في شئ يا طفيل، ودعنا نستمتع بالحياة.

حاول أن يعود للخمر وملذاته مـرة أخـرى، لكـن هنـاك انقباضـة في قلبه، وشئ في أعماقه يرفض الكأس، ويمقت هذه الجلسة.

انطلق هاربا من هذا الجو الخانق، ملأ صدره بهواء مكة، ثم ذهب إلى الذي سوف يبيت به، ومازال يفكر في كلماتهم، ويتساءل.

هل أشراف مكة على صواب... أم هذا الرجـل الـذي يـدعي النبـوة على صواب..؟.

❖❖❖

في اليوم التـالي، ذهـب الطفيـل إلى الكعبـة، ليطـوف حولهـا، تبركـا بأصنامها، كما كانت عادة العرب، وقد عـزم أن لا يلتقـي بـسيدنا محمـد ﷺ، وألا يسمع منه شئ، حتى لا يفسد عليه حياته كما يقولون.

ولذلك أخذ في الاحتياط منه، فوضع شيئا من القطن في أذنه.

لكن إرادة الله سبحانه فوق كل احتياطات البشر، لقد ساقته الأقـدار ليكون بالقرب من سيدنا محمد ﷺ عند الكعبة، وسمع بأذنه بعـض مـن كلمات الرسول وهـو قـائم يـصلي، فتحركـت مـشاعره، ورق قلبـه، وبـدأ يشعر بشئ غريب في أعماقه.

ثم قال في نفسه :

" أنا شاعر لبيب، وأستطيع أن أميز الكـلام الحـسن، والقبـيح أيـضا، فلماذا لا أجرّب بنفسي وأسمع لهذا الرجل.. فإن كان حـسنا قبلتـه، وإن كان قبيحا تركته.

ظل الطفيل يراقـب رسـول الله ﷺ، يتعجـب لـصلاته وعبادتـه، فهـي تختلف عن عبادة العرب لأصنامهم، غير أن ما يتلوه كلام حسن، لا يمكن أن ياتي به كاهن، أو شاعر مهما كانت براعته في النظم.

وعندما انتهي من صلاته، همّ بالعودة إلي بيته.

تبعه الطفيل من بعيد، حتى لا يلاحظ أحد من أشراف مكة، ثم طرق باب بيت رسول الله ﷺ، فاستقبله بكل ترحاب.

قال الطفيل:

يا محمد.. إن قومك قالوا عنك الكثير، وحذروني منك، حتى تخوفت من رؤيتك، ولكن الله شاء أن أسمع منك كلمات وأنت تصلي عند الكعبة، فشعرت بشئ غريب، أوقعني في حيرة، لأن حسن كلامك غير ما يقول فيك أهلك، فأعرض عليّ أمرك.

وعرض رسول الله ﷺ عليه الإسلام، وأسمعه من القرآن ما يتيسر له سماعه، فأسلم الطفيل، وشهد بوحدانية الله، وبنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومد يده مبايعا رسول الله، معاهدا إياه على الولاء والطاعة.

وبذلك شرح الله صدره للإسلام، لقد أحبه الله ورسوله، وجعله من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

مكث الطفيل بعض الوقت في مكة، تعلقا برسول الله ﷺ، وطلبا للعلم، حتى حفظ ما تيسر له من القرآن، وحفظ الكثير من تعاليم الدين، ثم عزم على العودة إلى مسقط رأسه.

فقال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله، إني رجل لي مكانة كبيرة في قومي، وصاحب الكلمة عليهم، يأتمرون بأمري، ولا يعصون لي طلبا، وإني راجع إليهم، وسوف أدعوهم إلى الإسلام، وأتمنى أن يكون لي إشارة أو علامة، حتى يصدقون قولي، فادعوا الله أن يجعل لي آية تكون لي برهانا وصدقا لما أقول.

رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء، وقال مناجيا ربه:

اللهم إجعل له آية.

وعاد الطفيل إلى قومه، محملا نفسه مسئولية الدعوة إلى الله.

وبينما هو على مشارف دوس مسقط رأسه، فإذا بالمعجزة التي لم يسبق لها مثيل، ولم تكن في حسبانه.

لقد انبعث نور من بين جبينه، نور ساطع مثل المصباح المنير، يضيء الظلمة من حوله، أدرك أنها دعـوة حبيبـه ﷺ ، وأنهـا الآيـة التـي سـوف يصدقه بها قومه.

وبقدر سعادته بتحقيق دعوة النبي ﷺ، إلا إنـه انـزعج بـشدة، لقـد خشي أن يظن أهله أن هذا النور عقوبة وليس آية أو كرامة، عقوبة لأنـه ترك دين آباءه، أو يظن قومه أنه أصبح ساحرا.

ثم رفع يده إلى السماء مناجيا ربه، ودعاه أن يجعـل هـذه الآيـة في غير جبهته.

سرعان ما استجاب لـه الله، وانتقـل النـور الـساطع مـن جبهتـه، إلى رأس عصا كانت في يمينه، ثم واصل سيره، حتى دخل بيته.

أسرع إليه والده، فرحا بعودتـه مـن الـسفر، رغـم أنـه شـيخ كبـير، فأخذه الطفيل بحنان ورحمة البنوة، وأبلغه أنـه اعتنـق دينـا غـير ديـن أبائه وأجداده، فتعجب والده وسأله:

أي دين هذا يا ولدي..؟.

اذهب يا أبي واغتسل، وطهر ثيابك، ثم عد لأعلمك مـا تعلمـت مـن أمور الإسلام.

سرعان ما ذهب والده، ثم جاء بعدما اغتسل وطهر ثيابـه، وجلـس أمام ولده، وانصبت إليه وهو يعرض عليه الإسلام.

فأسلم والده في الحال، وشهد أن لا إلـه إ لا الله، وأن محمـدا رسـول الله.

ثم جاءت والدته، وأسلمت هي الآخر، وكذلك زوجته.

هكذا بدأ الطفيل بأهل بيتـه، حتـى اطـمأن عـلى الإسـلام في قلـب أبويه وزوجته، ثم انتقل بدعوته إلى خارج البيت.

طاف على أهل دوس، جلس معهم في المنتديات، وزار الكثير في البيوت، يخبرهم بإسلامه، وإتباعه دين الله، ورسوله سيدنا ﷺ.

تباطأ أهل دوس في الاستجابة له، بل ابتعدوا عنه، وأغلقوا الأبواب في وجهه، ولم يسلم له إلا أبي هريرة رضي الله عنه.

لم يحتمل الطفيل صدود قبيلته، فانطلق مسرعا إلى مكة، في صحبة أبو هريرة، حيث رسول الله ﷺ، يشكو له حال قبيلته، وتمسكهم بالكفر الشديد، والفسوق والعصيان.

قام رسول الله ﷺ، فتوضأ وصلي، ثم رفع يده للسماء.

وهنا وقع قلب أبي هريرة، لقد خاف أن يدعو رسول ﷺ على أهل دوس بالهلاك، وقال في نفسه " وما قوماه".

لكن رسول الله ﷺ قال : اللهم اهدِ دوسا... اللهم أهد دوسا ... اللهم اهدِ دوسا".

ثم التفت إلى الطفيل، وأمره أن يعود إلى قومه، وأن يرفق بهم في دعوته إلى الإسلام.

❖❖❖

عاد الطفيل إلى قومه مرة أخرى، وطاب له العيش فيها أكثر من ذي قبل.

ولم لا..وقد قبل الله دعوة النبي ﷺ، وهدى الله قومه إلى الإسلام، وأقبلوا عليه فرادى وجماعات ليعلنوا إسلامهم.

ظل في اليمن عدة سنوات، يعلمهم تعاليم الإسلام، ويقرأ عليهم ما يتسر له من القرآن، حتى اطمأن على ثبات قومه.

ثم اشتاق لقاء رسول الله ﷺ، أراد أن يبشره بما أصبحت عليه قبيلته دوس، والتي اعتنقت دين الله، كما أراد مشاركته الجهاد في سبيل الله.

ذهب الطفيل يطوي الصحراء شوقا، ومعه ما يقرب من ثمانين أسرة من أهل دوس، كانوا أكثر إيمانا وأكثر تقوى من غيرهم، قاصدين المدينـة، لأن رسول الله ﷺ هاجر إليها منذ سنوات.

وبعد أيام من السفر الشاق، كان لهم مـا أرادوا، واسـتقبلهم رسـول الله ﷺ استقبالا حسنا، ووقفوا في حضرته، وبايعوه على الولاء والطاعة.

وأعطاهم رسول الله ﷺ من غنائم خيبر، لأنهم كانوا حديث العودة منها، والتي كانت بعد بدر وأحد والخندق، مثلما أعطى المجاهـدين، ثـم انتظموا في صفوف المسلمين، وشاركوا كل الغزوات بعد ذلك.

وتتوالى الفتوحات، ولم يتخلف الطفيل عن مرافقة رسـول الله ﷺ في الجهاد، ولا عن العمل في سبيل الله.

حتى جاء اليوم الموعود، اليوم الذي بشر به الله سبحانه رسـوله ﷺ، يوم فتح مكة، هذا النصر المبين.

دخلها الطفيل مع رسـول الله ﷺ، ورآه يهـدم أصـنام الكعبـة بيـده الشريفة، يطهرها من هذا الرجس الذي طال بقاءه في الناس.

وهنا تذكر الطفيل زمنا بعيدا، عندما كان في الجاهليـة، تـذكر " ذي الكفين"، الصنم المملوك لرجـل يـدعى "عمـرو بـن حممـة"، والـذي كـان يصطحبه أينما ذهب.

كم سجد الطفيل لهذا الصنم، وكم خشع أمامه جهالة منه.

أراد الطفيل أن يكفر عن ذلك، وأن يمحو بيده آثار جهالته.

فطلـب مـن رسـول الله ﷺ أن يرسـله إلى ذي الكفـين هـذا ليحرقـه، فأذن له.

وسرعان ما سابق الريح إلى دوس.

لم يعط الطفيل لنفسه هدنة أو راحة من عنـاء الـسفر، لقـد إتجـه إلي مكان الصنم، على مرأى ومسمع من النـاس، والـذين تعجبـوا لمجيئـه بعد غياب طويل.

وتعجبوا أكثر من شعلة النار التي في يده، تـساءلوا.. لمـاذا يحملهـا.. وإلى أي مكان تكون وجهته..؟.

تابعتـه النـاس، سـاروا خلفـه، حتـى وصـل إلى صـنم "ذي الكفـين"، ورأوه يشعل النار فيه.

صاحت الناس، وحذروه من عواقب فعلته، وطلبوا منـه أن يبتعـد، حتى لا تصبه صاعقة الغضب من ذي الكفين.

لكن الطفيل، يواصل إشعال النار في الصنم كلما انطفأت، لم يبال بما يسمع من الناس، بل راح يردد فرحا:

ياذا الكفين لست من عبادك

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

مازالت الناس تترقب الطفيل، تنتظر اللعنة التي سوف تنـزل عليـه جراء فعلته في هذا الإله، ولكنهم لم تجدوا إلا بشرا ونـورا، فـأدركوا أنهـم كانوا في ضلال كبير، وانهم كانوا يعبدون صنما لا ينفـع ولا يـضر، فـأعلنوا إسلامهم بين يدي الطفيل.

وبذلك.. أصبحت قبيلة دوس بأكملها على دين الإسلام.

❖❖❖

وعاد الطفيل مرة أخرى إلى المدينة، حيث رسول الله ﷺ، عاد يرافقة رحلة الجهاد، ويتعلم منه علوم الدين، حتى قبض رسول الله ﷺ إلى جوار ربه.

لم يعتزل الطفيل حياة الجهاد بعد رسول الله ﷺ، ولم يكتف بما قدمه للدعوة الإسلامية، بل كان بحرا من العطاء، ظل يعطي محتسبا عمله عند الله، طمعا في شئ أغلى وأثمن من الحياة وما فيها، ألا وهي الجنة.

ثم شارك في حروب الردة، والتي كانت في عهد أبي بكر الصديق، وأبلى فيها بلاءا حسنا، مصطحبا معه ابنه عمرو، والذي ما زال صبيا بعد.

حتى جاءت موقعة اليمامة، وسار مع ولده عمرو في طليعة جيش المسلمين، ينشدون الشهادة، والتي هي أغلى الأماني لكل مسلم.

في الطريق.. امتثل الجميع لقائد الجيش، الذي طلب منهم أن يفكوا الرحال، ويخلدوا للراحة، استعدادا للحرب القادمة.

استرخى الطفيل بجوار ولده عمرو، وذهب في نوم عميق.

لكنه لم يهنأ بالنوم طويلا، لقد قام مفزوعا، فإنتبه بعض من الصحابة، وسألوه:

ما بك يا طفيل..؟.

هز رأسه ثم قال:

رأيت رؤيا أحتار في تفسيرها.

ماذا رأيت

رأيت أنني حليق الرأس، ويخرج من فمي طير، وأم إمرأة أدخلتني في بطنها، أسمع ولدي عمرو يصرخ، يناديني بكل ما فيه، يبحث عني، لكن يحول بيني وبينه، فلم يصل إليّ.

سكت الطفيل، كان ينتظر تفسيرا لرؤيته من أصحابه، فلك يجد إلا قولا واحد:

لعله خيرا يا طفيل.

ثم ابتسم الطفيل مستبشرا، وقال:

لقد فسرت هذه الرؤيا يا إخواني.

فسألوه في لهفة:

قل لنا يا طفيل:

حلق رأسي معناه أن تقطع رأسي، والطير الذي يخرج من فمي هو روحي، أما المرأة التي تدخلتي في بطنها هي الأرض.

نظر الصحابة إلى بعضهم البعض، يتعجبون من تفسير رؤية الطفيل في صمت.

لكنه قطع تعجبهم وقال:

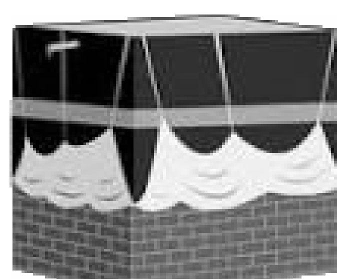
أما عن ابني عمرو، فسوف يلحق بي شهيدا باذن الله تعالى، فنامل ذلك.

ازداد الصحابة عجبا، وراحوا يتابعون الطفيل في ميدان المعركة.

فها هو يشق صفوف العدو، يصول ويجول هنا وهناك، يعمل بسيفه في رقابهم واجسادهم، أرهقهم بشدة، حتى وقع شهيدا باذن الله.

❖❖❖

أبو سلمه بن عبد الأسد



-٧-

أول المهاجرين

أبو سلمة بن عبد الأسد



بعد صرخات الولادة المؤلمة.

نظـــرت أم ســـلمة إلى وليـــدها لحظـــة، احتـضنته بحنـان الأمومـة، ثـم راحـت في بكـاء شديد، راحت تبكي بلا توقف، مـما أثـار عجـب زوجها أبو سلمة.

جلس بجوارها، حاول أن يهدأ من روعهـا، لكنها مازالت في بكاءها الهستيري.

فقال متضاحكا:

ما بك يا أم سـلمة.. هـل مـازال هنـاك آلام بعد الولادة.

لا يـا أبـو سـلمة.. لم أبـك مـن ألم الـولادة، ولكن أبكي من ألم الغربة، وأبكي لأن مسقط رأس ولدي مكـان غـير مكـة الحبيبة.

جرت مرارة في نفس أبي سلمة، حاول أن يبتلعها، وقال متضاحكا:

كلها أرض الله يا زوجتي، لا عليك، لعل الله يكتب لنا العودة إلى مكـة في الوقت القريب.

قبّل أبو سلمه المولود الصغير، ثم خرج إلى شـوارع الحبـشة، والتـي تبدو خالية من المارة، يحاول أن يتغلب على حزنه هو الآخر.

فهو لم يكن أقل شوقا من زوجته إلى بلده الحبيب مكة.

أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، صاحب الـشرف الأرفـع في تاريخ المسلمين، فهو أول من خرج مهاجرا إلى الحبشة، فارا بدينه مـن بطش قريش مع زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية.

وتبعـه بعـد ذلـك أعـداد كثـيرة مـن المـسلمين، جـاءوا إلى الحبـشة مهاجرين، تاركين الدنيا بما فيها هناك في مكة، مـن أجـل ممارسـة عبـادة إله واحد لا شريك له، بعد أن طغى المشركين على الضعفاء في مكة.

كما سجل التـاريخ لأبي سـلمة شرف أسـمى وأكـبر مـن الهجـرة إلى الحبشة، فهو أخو النبي ﷺ في الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبدالمطلب، غير أنه من الأوائل الذين أسلموا، مع عبيدة بن الحـارث والأرقـم بـن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون، وذلك قبل أن يتخذ النبي ﷺ دار بـن الأرقـم مقرا للدعوة.

ورغم أن المهاجرين يعيشون آمنين في كنـف النجـاشي بالحبـشة، إلا أنهم يكتون بالشوق إلى مكة، وبالشوق إلى جوار رسول الله ﷺ.

منذ الهجرة إلى الحبشة، والمشركون يحاولون إعادتهم إلى مكـة، لـيس حبا فيهم أو في دينهم، ولكن يريدون إذلالهـم وتعـذيبهم، وإعـادتهم إلى عبادة أوثانهم.

فـشلت محـاولات المـشركين في إعـادة المهـاجرين، حتـى جـاء أحـد شياطينهم، وأشاع أن سكان مكة كلها آمنت بدعوة رسول الله ﷺ.

طارت الإشاعة إلى الحبشة، ففرح المهاجرون فرحا شديدا، وعاد عدد منهم مسرعين، يأملون العيش في سلام وأمان، بجوار رسول الله ﷺ.

ثم اكتشفوا أنهم وقعوا في خديعة كبرى، وأن المشركين في مكة لم يؤمنوا كما أشيع، ولكنهم أطلقوا هذه الإشاعة حتى يعيدهم لعبادة الأصنام.

كان أبو سلمة من الأوائل الذين عادوا إلى مكة، مع عثمان بن مظعون، ورأى مكة تتنمر له، يريدون الفتك به وبكل من كان مهاجر إلى الحبشة.

لكنه فر إلى خاله أبو طالب – عم رسول الله ﷺ- ليحتمي به، مما أغضب بنو مخزوم، وذهبوا إلى أبو طالب، يريدون أن يسلمهم أبو سلمة، بحجة أنه إبن أخيهم.

رفض أبو طالب تسليمه لهم، بحجة أنه إبن أخته، وعليه حمايته كما يحمي ابن أخيه رسول الله ﷺ.

ثم تمكن أبو سلمة من الهجرة مرة أخرى ومعه زوجته، ومجموعة جديدة من المسلمين.

❖❖❖

أيام أخرى عاشها أبو سلمة في الحبشة، لكن الحنين اشتد به إلى مكة، وإلى جوار رسول الله ﷺ، فقرر العودة إليها مرة أخرى، فهناك أفضل من غربته هذه، رغم أن النجاشئ يهيئ لهم كل وسائل الآمان.

وفي مكة، التقي برسول الله ﷺ، و مكث معه أيام، ورأى المشركين مازالوا يعذبون المسلمين الضعفاء، بل ويتفننون في ابتكار وسائل للتعذيب، عسى أن يعودوا إلى عبادة الأصنام.

وعندما مات أبو طالب، لم يعد لرسول الله ﷺ سندا من الرجال، يحميه من أذى قريش، وكذلك أبي سلمة، الذي فكر سريعا في الهجرة من مكة.

ولكن إلى أي بلد ستكون الهجرة هذه المرة..؟.

وبعد تفكير، رأى أن المدينة هي أفضل مكان له الآن، لأسباب كثيرة، منها أنهم عرب مثل مكة، تجمعهم لغة واحدة وطباع متقاربة جدا، وفيها مسلمون سمعوا عن النبي ﷺ وآمنوا به، وهناك مصعب بن عمير، أول سفير للإسلام، والذي وفقه الله وأسلم الكثير من أهل المدينة علي يديه.

سرعان ما جهز أبو سلمة نفسه وأهل بيته للهجرة، وانتظر الليل، ثم حملت أم سلمة ولدها سلمة ، وركبت فوق بعير سحبه أبو سلمة.

ولم يعرف أن مشركي مكة يتربصون له، وأنهم دأبوا على مراقبته منذ عودته من الحبشة، يعدون عليه حركاته، حتى لا يفلت من أيديهم هذه المرة.

وعندما بدا الخروج من مكة، فإذا برجال من بني المغيرة بن عبدالله بن مخزوم، يعترضون طريقهم، ويمسكون بزمام الناقة، ويأخذون زوجته أم سلمة، بحجة أنها من قبيلتهم، ولا يمكن أن يسمحوا له بأن يأخذها في هجرته معه.

ثم ظهر جماعة من بني عبدالأسد، والذي منهم أبو سلمة، تنازعوا مع بني المغيرة، ليس على أبو سلمة وزوجته، بل على الطفل سلمة، يريدون أن يأخذوا الطفل من أمه بحجة أنه ينتمي لأبيه الذي هو من قبيلة بني عبدالأسد.

اشتد النزاع بين الرجال، وتخاطفوا الطفل بينهم بقوة، حتى انخلعت يد الطفل في يد بني المغيرة، فانطلق بنو عبدالأسد بالطفل إلى قبيلتهم، تاركين أم سلمة وزوجها ويد الطفل عند قبيلة بني المغيرة.

ثم حبس بنو مخزوم أم سليمة عندهم، وأطلقوا سراح أبي سلمة .

أدرك أبو سلمة أن زوجته أم سلمة سوف تكـون في مـأمن تـام، ولا يمكن لأحد أن يمسها بسوء، لأنها بين أهلها في قبيلة بني المغيرة.

وكذلك ولده سلمة، فهو وسط قبيلة والده بنيعبدالأسد.

انطلق وحده إلى المدينة، بعـد أن فرقـوا بينـه وبـين زوجتـه وابنـه، ونزل على مبشر بن عبدالمنذر بقبـاء، ليكـون أول المهـاجرين إلى المدينـة، كما كان هو أول المهاجرين إلى الحبشة.

❖❖❖

عام أو أقل قليلا، قضته أم سلمة بعيدة عن زوجها.

كانت تخرج كل صباح إلى الصحراء، على أول بيوت بنو المغيرة، تبكي فراق زوجها، لا تستطيع الهروب منهم.

حتى مر عليها رجل من أبناء عمومها، فـرق لحالهـا، وذهـب لأولاد أعمامه، وتوسط لها ليطلقوا سراحها رحمـة بهـا، حتـى تلحـق بزوجهـا في المدينة، مع ولده الذي رده إليها بنو عبدالأسد بعد شهور.

وأخيرا أطلقوا سراحها، فانطلقت في الصحراء فوق بعيرهـا، تحتـضن ولدها في حجرها، ليس معها أحد إلا الله، تريـد أن تلحـق برفيـق عمرهـا أبو سلمة.

ومـضت المـسكينة بهمـة ونـشاط، حتـى وصـلت مكـان يـسمى بالتنعيم، فـإذا برجـل يـدعى عـثمان بـن طلحـة بـن أبي طلحـة، تعجـب لسيرها وحدها في هذه الصحراء الموحشة.

سألها:

إلى أين يا بنت أبي أمية..؟.

أريد أن ألحق بزوجي في المدينة.

هل تذهبين دون أن يرافقك أحد في هذا الطريق الموحش..؟.

ليس معي إلا الله وولدي هذا.

وهنا خرجت نخوة العرب، وتأسف عثمان بن طلحة لحالها، رغم أنه مازال مشركا، ولم يؤمن بعد برسالة سيدنا محمد ﷺ.

وقال:

- لا يمكن أن أتركك وحدك أيتها المرأة، فلابد من مرافقتك حتى تبلغين مقصدك.

وأخذ الرجل بزمام ناقتها، وبدا السفر ناحية المدينة.

كان عثمان أبن طلحة كريما للغاية، فلم يستغل ضعف المرأة، أو يخلق معها حديث ما، لكنه قاد البعير في صمت وأدب، حتى إذا بلغ مكان للراحة، أناخ البعير وقيده، ثم يذهب بعيدا، حتى تستريح أم سلمة وتقضي حاجتها، ثم يأتي بعد أن تركب فوق البعير مرة أخرى، ويسوقها في صمت.

تكررت مرات الراحة، ومازال عثمان على أدبه وحياءه، رغم أنه مازال يعبد أصنام مكة.

حتى قدم إلى المدينة، عند قرية بني عمرو بن عوف بقباء، فقال لها:

- زوجك في هذه القرية، فادخليها على بركة الله.

هكذا كان العرب يتمسكون بمكارم الأخلاق، ونخوة الرجال، يعرفون الواجب في التعامل رغم إختلاف العقيدة.

وإلا.. فلماذا تحمل عثمان بن طلحة مشقة السفر في الصحراء ما يقرب من شهر ، تاركا بيته وأهله..؟.

ثم منّ الله على عثمان بن طلحة بالإسلام بعد سنوات من الهجرة، وأصبح من المجاهدين في سبيل الله عز وجل.

❖❖❖

لم تنته قصة الصحابي الجليل إلى هنا، فمازال فيها الكثير من التضحية والفدائية ، مازال يتفانى في الجهاد، طمعا في الدرجات العلى في الجنة.

عاش أبو سلمة في مجتمعه الجديد ب المدينة، ينشر ما تعلمه من رسول الله ﷺ من آيات القرآن الكريم، ومن أحاديث عن النبي ﷺ، يستقبل المهاجرين من مكة، حتى جاء رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين سعد من خيثمة، وأرسى قواعد الدولة الإسلامية.

وفي غزوة بدر، كان أبو سلمة في الصفوف الأولى، وأبلى فيها بلاءا حسنا، لإعلاء كلمة الحق، ولنصرة دين الله في الأرض، وانتقاما من المشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ،وآذوا ضعفاء المسلمين في مكة، حتى تحقق النصر بإذن الله تعالى.

❖❖❖

وفي السنة الثانية من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة العشيرة، فاستخلف أبا سلمة على المدينة، إكراما له ولمكانته في الإسلام.

ثم زاده الله كرما ورفعة، وأنزل فيه قرآنا يتلى إلى يوم الدين.

فقال تعالى:

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)} [الحاقة: ١٩ – ٢٤]

كانت هذه بشرى عظيمة من الله عز وجل، بشره بها الله قبل لقائه، أبلغه انه من الذين يتناولون كتابهم بيمينهم، والآمنين من فزع يوم القيامة.

لم يركن أبو سلمة إلى هذه البشرة، ولم تقل همتـه في الجهـاد، وراح يطمع في درجة عالية في الجنة، ينشد الشهادة في سبيل الله.

ولـذلك... تـصدر الـصفوف في غـزوة أحـد، الغـزوة التـي جـاء لهـا المشركون ليثأروا من هزيمتهم الفادحة في بدر، جاءوا للانتقام من الإسـلام والمسلمين.

جاهد أبو سلمة بضراوة، شق صفوف الأعداء، أطلق لسيفه العنـان في الرقاب والأجساد، فأقع منهم الكثير بين جريح وقتيل.

حتى فاجأه أحد المشركين ويدعى أبو أسـامة الجـشمي، برميـة مـن معبلة، أصابة عضدة، وشلت جرحته.

وقع أبو سلمة جريحـا، فحملـه بعـض مـن المـسلمين إلى الخطـوط الخلفية للمعركة، حتى انتهى القنال بانتصار المشركين.

عاد أبو سلمة جريحا، ظـل في بيتـه شـهرا يتـداوى مـن الألم، حتـى اندمل سطح الجرح.

ظن أبو سلمة أنه شفي مـن جراحـه تمامـا، ولم يعـرف ان الـصديد مازال يرقد تحت الجلد.

ولذلك.. عقد له رسول الله ﷺ لواءا، وأرسله في سرية على ١٥٠ رجلا من المهاجرين والأنصار، للاغارة على بني أسد.

وحينما رجع من هذه السرية، شعر بألم شديد من جرحـه القـديم، ثم اكتشف ان هناك صديدا خبيثا تحت الجلد، فظل أياما يصارع المـوت البطيئ.

وفي غمرة الألم، سألته زوجته رفيقة دربه باكية:

إلى من تكلني يا أبو سلمة..؟.

نظر إليها وقال:

إلى الله يا رفيقة العمر.

ثم نظر إلى السماء ودعى الله قائلا:

اللهم أبدل أم سلمة بخير من أبي سلمة. وقَالَ: اللهم اخلفني فِي أهلي بخير.

وقبل أن تصعد روح أبي سلمة إلى بارئها، أتاه النبي ﷺ لزيارته، وشهد وفاته، ومد يده الشريفة على عينيه فأغمضهما، وأمر ﷺ النساء بالكف عن البكاء، واخبرهن بالدعاء له :

اللَّهُمَّ أفسح له في قبره وأضيء لَهُ فِيهِ. وَعَظِّمْ نُورَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي تَرِكَتِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وهكذا مات أبو سلمة رضى الله عنه وأرضاه، في السنة الرابعة من الهجرة، تاركا خلفه من الأولاد سلمة وعمر وزينب ودرة، وزوجة صالحة شاركته رحلة كفاح طويلة.

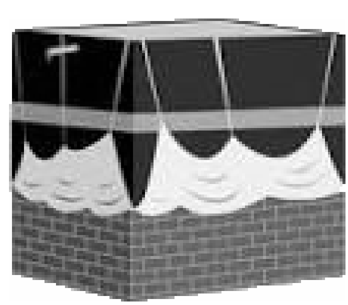
ورغم وفاة هذا الصحابي الجليل، أراد الله أن يقبل دعوته التى دعا بها وهو على فراش الموت، حين قال:

اللهم أبدل أم سلمة بخير من أبي سلمة. وقَالَ: اللهم اخلفني فِي أهلي بخير.

قبل الله منه دعوته هذه، فتزوجت أم سلمة سيدنا محمد ﷺ.

❖❖❖

جعفر بن أبي طالب



– ٨ –

الشهيد الطيار
أبو المساكين
جعفر بن أبي طالب

أمسكت السماء عن المطر.



واشتدت حرارة الشمس عن آخرها.

فتشققت الأرض من العطش، وماتت الزروع المتناثرة هنا وهناك، وجفت ضروع الحيوانات من اللبن. فجاعت الأطفال والنساء والرجال.

واضطر أهل قريش أن يأكلوا لحاء الشجر، وأشياء أخرى بالية، حتى يسدوا جوعهم القارص.

لم يسلم أبو طالب عم رسول الله ﷺ، هو وأولاده، من شدة الجوع، وأكل من لحاء الشجر، رغم الحسب والنسب الذي كان عليه، فهو أفقر بني هاشم، وله عدد كبير من الأولاد.

أما رسول الله ﷺ، كان من أيسر بني هاشم، وكذلك عمه العباس.

ذهب رسول الله ﷺ، إلى عمه العباس، وقال له:

- أصاب الناس الجوع والقحط كما ترى، وأبو طالب أخاك كثير الأولاد، شديد الفقر، فماذا لو تعاونا معه.؟. وتكفلت أنا بأحد أولاده، وتكفلت أنت بواحد أيضا.

ابتسم عمه العباس، وقال له:

- دائما تدعو إلى الخير يا ابن أخي، وتحض على البر.

وانطلق العباس مع ابن أخيه رسول الله ﷺ، إلى أبي طالب، وتكفل العباس بجعفر، وتكفل رسول الله ﷺ بعلي.

وبهذا..كان على أكثر حظا من أخيه جعفر، والذي يصغره بشعر سنوات تقريبا، لقد تربي في بيت النبوة، واستقى من أخلاق رسول الله ﷺ منذ الصغر.

وعندما نزل الوحي على رسول الله ﷺ، فكان علي أول من آمن بدعوة الإسلام من الصبيان.

وكذلك جعفر، كان من السابقين الأوائل في الإسلام.

أسلم على يد أبي بكر الصديق، قبل أن يتخذ رسول الله ﷺ، دار بن الأرقم مقرا للدعوة، ثم فارق عمه العباس، بعد أن أصبح رجلا، يستطيع كسب قوته، وتزوج من أسماء بنت عميس.

وعندما جاء أمر السماء من رب العباد، إلى رسول الله ﷺ بإعلان دعوته في الناس، قم سادة قريش بمواجهة الدعوة، وحاربتها بكل ما تملك.

لكن عدد المسلمين كان يتزايد يوما بعد آخر، مما أقلق قريش.

ولم يجد سادة قريش إلا استخدام العنف، وتعذيب المسلمين، عسى أن يعودوا عن هذا الدين الجديد.

لكن المسلمين تمسكوا بدينهم أكثر، مما جعل سادة قريش يمعنون ويزيدون في زيادة تعذيبهم.

وكان جعفر بن أبي طالب من الذين لمسهم تعذيب قريش، وكـذلك زوجته، فصبرا على الأذى، حتى جاء امر الهجرة إلى الحبشة، لمـن يـستطع الهروب بدينه.

وهاجر جعفر وزوجته مع عدد مـن المـسلمين إلى الحبـشة، يريـدون أرضا آمنة، يعبدون الله فيها، دون مضايقة من أحـد، فـأذن لهـم الرسـول بالهجرة.

فطن المشركون إلى هجرة المسلمين، فأحاطوا مكـة برجـالهم، حتـى لا ينتشر دين الله في الأرض.

ورغم ذلك..استطاع الكثير من المسلمين الإفلات مـن قبـضة قـريش، وهاجروا إلى الحبشة.

ففكرت قريش في اسـترداد المهـاجرين مـرة أخـرى، فأرسـلت رسـولين منهم، وهما عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، قبل أن يعلنا إسـلامهما، وحملا هدايا ثمينة إلى النجاشي وحاشيته، وهدايا أيضا إلى البطارقة.

وقبـل أن يلتقيـا بالنجـاشي، حرصـا عـلى لقـاء الحاشـية والبطارقـة، ليكونوا عونا لهما في الضغط على النجاشي.

قالا لهم:

" هاجر عدد من السفهاء إلى بلـدكم، كفـروا بآلهتنـا، وابتـدعوا دينـا جديدا يؤمنون به، ولم يدخلوا دينكم، وجئنا لتسلموهم إلينا، حتى نعود بهم إلى آبائهم" .

وسرعان مـا دخـل رجـال الـدين المـسيحي عـلى النجـاشي، وأبلغـوه رسالة رسولا مكة، وأوصوه أن يسلمهم إليهما، لأن قومهم أعلم بهم.

لكن النجاشي كان حكيما فطنا، وأصر على أن يـسأل المـسلمين أولا، قبل أن يسلمهم إليهم، فإن كـانوا سـفهاء كـما يقـول الرسـولان، سـلمهم إليهم، وإن كانوا غير ذلك، أحسن إليهم، ومـنحهم الأمـان أكـثر مـما هـم فيه.

واستدعى النجاشي المهاجرين، وسألهم عن الدين الجديد الذي فارقوا أهلهم من أجله.

فقام جعفر بن أبي طالب، وقال للملك:

أيها الملك..كنا في قوم عميت بصيرتهم، نعبد أصناما نصنعها بأيدينا، ونأكل الميتة، ونقطع أرحامنا، ويأكل القوى الضعيف دون رحمة، حتى من الله علينا برسول منا، لم نعرف عنه غير الصدق والأمانة, والعفاف عن كل رزيلة، وأرشدنا إلى عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ عبادة أصنام لا تنفع ولا تضر، وعرفنا منه لذة الصدق و الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن قذف المحصنات وعن الفواحش والخبائث، بعد أن كنا نأتيها بلا خجل، وأوصانا باليتيم والجار وعابر السبيل، فلم يعجب كل هذا كبراءنا وأشرافنا، وخيرونا بين عبادة أصنامهم أو تعذيبنا، وأذاقونا ألوان شتى من العذاب حتى نكفر بنعم الله عز وجل، بعد أن هدانا إليها، فاضطررنا إلى أن نهاجر إلى جوارك، ونأمل أن لا تخذلنا من أمانك وحسن رعايتكم لنا.

فسأله النجاشي: هل معك شيء مما جاء به نبيك من عند الله..؟.

قال جعفر بن أبي طالب: "نعم.

ثم قرأ عليه سورة مريم .

كهيعص ﴿١﴾ ذِكرُ رَحمَتِ رَبِّكَ عَبدَهُ زَكَرِيّا ﴿٢﴾ إِذ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنّي خِفتُ المَوالِيَ مِن وَرائي وَكانَتِ امرَأَتي عاقِرًا فَهَب لي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقوبَ وَاجعَلهُ رَبِّ رَضِيًّا﴿٦﴾

وعندما انتهى من قراءتها، بكى النجاشي وكل من حوله، حتى الأساقفة، لقد وقع القرآن في صدورهم منذ بداية الحروف الأولى حتى نهاية السورة.

ثم قال النجاشي:

" إن هذا ما جاء به عيسي ليخرج من مشكاة واحدة"

ثم التفت إلى الرسولين وقال: " انطلقا والله لا أسلمهم إليكما".

❖❖❖

ورغم إجابة النجاشي القاطعة، لم ييأس عمرو بن العاص، وأصر على عودة المهاجرين.

ووفي اليوم التالي، دار على البطارقة، وحثهم على مساعدته في طرد المسلمين من أرضهم، وقال لهم أن المسلمين المهاجرين يقولون على عيسى بن مريم أنه عبد.

غضب البطارقة، واستأذنوا من النجاشي لسمع عمرو من العاص، فسمح له.

ولما وقف أمامه، قال له:

- أنهم يقولون على عيسى ابن مريم انه عبد.

غضب النجاشي، واستدعى المهاجرين، وسألهم:

- ما قولكم في عيسى بن مريم.؟.

احتار المسلمون، ونظروا إلى بعضهم البعض، فهم يخشون أن يفقدوا الأمان والأمن الذي رأوه في أرض الحبشة، ويخشون من العودة إلى مكة، فيكون مصيرهم التعذيب حتى الموت.

البطارقة يحيطون النجاشي، يتربصون، وكذلك عمرو بن العاص، على وجهه ابتسامة الانتصار، ظننا منه أن سوف ينال من المسلمين، ويعود بهم إلى مكة.

ولكن جعفر بن أبي طالب تقدم الجمع، وقال:

- نقول فيه ما جاء به نبيناﷺ.

قال النجاشي.

- وماذا قال نبيكم.؟.

- إنه عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء.

وهنا ضرب النجاشئ الأرض بعصاه التي في يـده، وقـال مؤكـدا قـول جعفر بن أبي طالب:

- والله ما خرج عيسى بن مريم، عما جاء به نبيكم.

علت الهمهمات والهمسات الغاضبة من البطارقة، وكادوا أن يقولـوا شيئا، لكن النجاشي قال بحزم:

- اذهبوا فأنتم آمنون في أرضنا، فمن سبكم، أو تعرض لكم عاقبنـاه، والله ما أحب ان يكون لي جبل من ذهب، وأن يصاب أحد منكم بسوء.

ثم التفت إلى عمرو بن العـاص ومـن معـه، وقـال بغـضب مخاطبـا البطارقة:

- ردوا على الرسولين هداياهما.

أشرقت السعادة في قلوب المهاجرين، في الوقت الذي عاد فيه عمرو بن العاص ومن معه خاسئا مخذولا.

❖❖❖

عشر سنوات، قضاها المسلمون في كنف النجـاشي، آمنـين مطمئنـين، رغم الغربة عن مكة، الوطن الذي يشتاق له القلب كل لحظة.

وعلى الجانب الآخر، هاجر المسلمون مـن مكـة إلى المدينـة، بعـد أن اشتد طغيان المشركين على المسلمين، ثم هاجر رسول الله ﷺ.

وهنـاك في المدينــة..بــدأ رســول الله ﷺ في إرســاء قواعــد الدولــة الإسلامية.

وسرعان ما توالت الأحداث، وأصبح للمسلمين والإسلام كيان في الأرض.

وبعد السنة العاشرة من هجرة جعفر وزوجته إلى الحبشة، اشتاق لرؤية رسول الله ﷺ ، كما اشتاق للجهاد مع المسلمين في غزواتهم.

فودع الحبشة، ومضى إلى المدينة، معه زوجته ونفر من الصحابة، يدفعهم الشوق إلى لقاء رسول الله ﷺ.

وبعد سفر طويل، وصلوا المدينة، في الوقت الذي عاد فيه رسول الله ﷺ والصحابة من فتح خيبر، فكانت فرحة كبيرة، حتى ان لرؤية رسول الله ﷺ قال:

- ما أدري..بأيهما أنا أشد فرحا.!!.أم بفتح خيبر.؟.

ولم يكن رسول الله ﷺ وحده سعيدا بعودة جعفر، بل كان المسلمون أشد فرحا.

لقد عاد إليهم صاحب القلب الرقيق، والمعطاء بلا حدود، والبار بالضعفاء، حتى لقبه البعض بأبي المساكين.

❖❖❖

لم يهنأ أبو المساكين، جعفر بن أبي طالب بالراحة من عناء السفر، ومن وحشة الغربة في بلاد الحبشة.

لقد بدأ رسول الله ﷺ يجهز الجيش للذهاب إلى الشام، لمحاربة شرحبيل بن عمرو، أحد أمراء الغساسنة، وعامل هرقل على الشام، لأنه قتل الصحابي الجليل، الحارث بن عمير الأزدي، الذي كان يحمل كتابا من رسول الله ﷺ، إلى ملك بصرى، يدعوه فيه إلى الإسلام.

أسرع جعفر بن أبي طالب وانضمام للجيش، تحت قيادة زيد ابن حارثة،

ورافق رسول الله ﷺ الجيش حتى حدود المدينـة، ظـل يوصـيهم بـألا يقتلـوا النـساء ولا الأطفـال ولا الـشيوخ، وألا يهـدموا المنـازل أو يحرقـوا الزروع أو يقطعوا الأشجار.

كما أوصاهم بتسلسل القيادة، فإذا قتل زيد، فيخلفه جعفـر بـن أبي طالب، فإن قتل جعفر، فيخلفه عبدالله بن رواحة.

وسار جيش المسلمين حتى نزل بـ "معان"، مكان في أرض الـشام، في الوقت الذي كان "هرقل" في "البلقاء"، على رأس مائـة ألـف مقاتـل، غـير أنه استطاع أن يقنع قبائل أخرى بالانـضمام معـه، ومـن هـذه القبائـل " لخم وجذام والقيس وبهراء وتلى".

اجتمع جـيش المـسلمون وتـشاوروا فـيما بيـنهم، هـل يكتبـون إلى رسول الله ﷺ ، ويخبرونه بعدد جيش هرقل الذي يزيـد عـن عـددهم أم لا؟. عسى أن يمدهم بعدد آخر من الجاهدين، أو يأمرهم بما يرى.

لكن "عبدالله بن رواحة" رفض أن يكتب إلى رسول الله ﷺ، وقـال :" يا قـوم : والله إن التـي تكرهـون للتـي خـرجتم تطلبـون "الـشهادة" ومـا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الـدين الـذي أكرمنـا الله سبحانه وتعالى به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظفـر وإمـا شهادة".

كانت كلمة مؤثرة في نفوس المسلمين، فأشعلت الحماسة، والـشوق إلى الشهادة طمعا في الجنة، وطمعا في مرضات الله.

وسار المسلمون حتى قرية مؤتة، والتقوا مع جـيش الـروم، وشـقت صيحات الله أكبر عنان السماء، مع أصوات الـسيوف، وسـط غبـار كثيـف غطى أرض المعركة، وتأتى أبيات مـن شـعر الحماسـة بـين الحـين والآخـر، تـدفع المـسلمون إلى الجهـاد، لتكـون أكـبر ملحمـة جهاديـة في حيـاة المسلمين.

أبلى زيد بن حارثة بلاءا حسنا، حتى استشهد، ثم حمل الراية بعده "جعفر بن أبي طالب، كما أوصاهم رسول الله ﷺ ، وأطاح بسيفه في جنود الرومان، حتى تكالبوا عليه، وقطعوا يمينه، فحمل الراية بشماله، فقطعوا شماله، فحملها بعضده في صدره، ثم بأسنانه، يأبى أن تنكس راية الإسلام، حتى وقع شهيدا، إثر خمسين طعنة بين رمح وسهم وسيف.

ثم حمل الراية بعده عبدالله بن أبي رواحة، أبلى بلاءا حسنا، وبث روح الجهاد في نفوس الجنود، بشعر الحماسة الذي كان يلقيه بين الحين والآخر، ولكنه وقع شهيدا.

هكذا بعد سقوط القادة الثلاثة شهداء، فنادى الصحابي الجليل "ثابت ابن أقزم البدري" في المسلمين، وطلب منهم أن يختاروا قائدا لهم، فقلوا له "أنت من تحمل الراية"، لكنه رفض حملها، وذهب إلى خالد بن الوليد وأعطاها له.

وعندما علم رسول الله ﷺ باستشهاد قواده الثلاثة، حزن حزنا شديدا، وقام يدور على بيوتهم، ليعزي اولادهم زوجاتهم.

لم تعرف أسماء زوجة جعفر باستشهاد زوجها، ولذلك..تأهبت لاستقباله، فألبست أولادها الجديد، وجهزت ما لذ وطاب من الطعام.

وفرحت أسماء عندما رأت رسول الله ﷺ يقبل عليها.

ثم انقبض قلبها، حين قرأت علامات الحزن في وجهه الكريم.

وجاء أولاد جعفر، تزاحموا على احتضان رسول الله ﷺ ، فاحتضنهم ، وهو يقاوم دموع في عينيه، فأدركت أسماء زوجة جعفر أن هناك فاجعة.

فسألته:

- بأبي وأمي أنت يا رسول الله...ما يبكيك..هل أصاب جعفر وصاحبيه مكروه.؟.

احتضن أولادها، ثم أطلق العنان لدموعه، فابتلت لحيته، وقال:

- لقد استشهدوا اليوم.

ذهب ما تبقى من سعادة كانت تمسك بهـا، وبكـت، وبـكى الـصغار أيضا

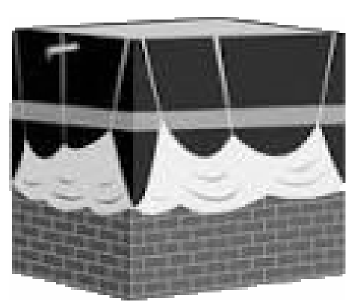
واحتضن رسول الله ﷺ مرة أخرى، وقال:

"اللهم اخلف جعفر في ولده..اللهم اخلف جعفر في أهله".

ثـم أخـبر رسـول الله ﷺ الـصحابة، أنـه رأى جعفـر في الجنـة، لـه جناحيان.

❖❖❖

مصعب بن عمير



-٩-

أول سفير في الإسلام

مصعب بن عمير



أطلت الرؤوس من المنازل، واشرأبت الأعناق.

تسلط نظراتها على شاب، يسير في خيلاء، وسط حشد من أصدقائه.

شمس الأصيل تعكس لون حلته المرصعة ببعض من الجواهر، كأنه ملك متوج.

عطر فواح يفيض منه، ينبئ عن قدومه، يملأ الأنوف أينما سار.

انظري..انظري..ها هو في حلته الجديدة، وحذائه المرصع بقطعة من الجواهر.

هكذا قالت احدي الفتيات لصاحبتها.

فردت عليها قائلة:

- ياله من شاب وسيم..دانت له الدنيا بكل ما فيها.

- نعم..الثراء والجمال معا.

- سعيدة هي من تكون زوجة لهذا الشاب.

التفت إليها صاحبتها وقالت:

- برأيك..من هي سعيدة الحظ، التي سوف تتزوج مصعب بن عمير هذا.؟.

نظرة إليها وضحكت، ثم قالت:

- وهل هناك أجمل منك في مكة كلها يا صديقتي.؟.

خبأت صاحبتها وجهها في طرفها خجلا، ثم سكت الحديث بينهما، عندما توارى مصعب بن عمير عن العيون.

لم يكن مصعب حديث البنات فقط، لكن كان حديث الرجال والنساء في مكة كلها.

ولِمَ لا..وهو الشاب الوسيم المنعم في عشيرته، وابن أسرة شديدة الثراء.

وذات يوم..سمع الشاب مصعب بن عمير عن دعوة الإسلام، وأن هناك رجل يدعى محمد بن عبدالله، يجتمع ببعض من الناس سرا، في بيت بن الأرقم، ليعلمهم بما يوحى إليه من السماء.

أسرع يتخفى إلى بيت بن الأرقم، يريد أن يسمع ويرى ما يصنع هؤلاء.

وعندما رأى رسول اللهﷺ، شرح الله قلبه للإسلام، وأسلم على يد رسول اللهﷺ، وأصبح من الأوائل السابقين في الإسلام.

لكن..ماذا يقول لأمه خناس بنت مالك.؟.

هذا ما كان يخشاه، فهو يعلم أنها قوية الشكيمة، ولها شأن عظيم في قومها، يهاب إلى حد الرهبة، وليس من السهل أن تترك أصناما توارثت عبادتها منذ زمن.

قرر مصعب بن عمير أن يكتم أمر إسلامه، ويواظب على لقاء رسول اللهﷺ، في بيت بن الأرقم.

لاحظت والدته تغيرا شديدا طرأ على ولدها.

لاحظت هدوء وسكينة يكسوان كلماته وحركاته، ونور ينبع من أعماقه، يضئ قسماته، وليس النور الذي كان يكتسبه من ملبسه الحريري الثمين.

وزهد في نعم الحياة ولذائذها.

لكنها لم تعبأ كثيرا، وانشغلت بأمور حياتها، وبشئون أموالها الكثيرة.

وذات يوم..كان عمير يتسلل إلى منزل بن الأرقم كعادته، رآه رجل يدعى (عثمان بن طلحة)، كما رآه يصلي صلاة المسلمين.

أسرع عثمان بن طلحة إلى أم مصعب، وأخبرها بما رأى، فتعجبت وتساءلت:

"ماذا ينقص ولدها حتى يذهب إلى دار بن الأرقم متسللا..وماذا هناك في هناك في هذه الدار.. ولماذا يترك آلهتنا التي نعبدها..؟".

انتظرت حتى جاء، وسألته أمام جمع من عشيرته وأشراف مكة.

ليس هناك مفر من المواجهة، فلابد أن يجهر بحقيقة إسلامه، لعل الله يشرح صدرها للإيمان، أو يهتدي أحد من عشيرته.

لم ينكر مصعب أمر إسلامه، ووقف يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم.

حاولت أمه أن تسكته وهو يقرأ القرآن، همت بلطمه، لكنها عادت ولم تفعل، لقد أسكتها النور الذي يخرج من أعماقه، ويشرق في وجهه، واليقين الذي يتلو به آيات الله الكريم.

ثم رأت أن تحبسه في ركن من دارها، عسى أن يعود عن دين الإسلام.

لكن.. هيهات.. كيف لمثله أن يعود عن دين الله بعد أن ذاق حلاوته..وكيف لمثله أن يكفر وهو قد تربي وأسلم على يد رسول الله ﷺ

ومرت أيام ومصعب في محبسه، الذي لم يزده إلا إيمانا فوق إيمانـه، يتلـو القرآن، ويصلي كما تعلم من رسول الله ﷺ.

وأشد ما كان يحزنه وهو في محبسه، حرمانه من رؤية رسول الله ﷺ، ومن الجلوس أمامه، كما كان يحزنه أخبار مكـة، والعـذاب الـذي يمارسـه المشركون على الضعفاء من المسلمين.

ثم سمع أن عددا من المـسلمين فـروا بـدينهم إلى الحبـشة، ففكـر في الهروب بدنه هو الآخر، حتى يعبد الله دون قيد، بعيدا عن والدته ومكة كلها.

واستطاع مصعب أن يحتال على والدتـه، والحـارس الـذي كـان يقـوم بحراسته، وفر مهاجرا إلى الحبشة.

❖❖❖

ظـل في الحبـشة فـترة مـن الـزمن، ثـم عـاد إلى مكـة مـرة أخـرى، فأقسمت أمه أن لا يأكل من بيتها، أو ينعم بما لديها من نعم، إلا إذا عاد عن دين محمد.

ورغم جوعـه وحاجتـه إلى الطعـام والملـبس، إلا أنـه ضـحى بـأموال والدته والعيش في نعيمها، في سبيل الله ورسوله، وآثر لباس الخيش وشدة الجوع، على ألا يعود إلى عبادة الأوثان.

فقررت أمه أن تعود إلى حبسه مرة أخرى.

ولكنه أقسم أن قامت بحبسه مرة أخـرى، ليقـتلن مـن تـستعين بـه على حبسه.

جن جنونها..فماذا تفعل أمام إصرار ولدها على الإيمـان بـالله الواحـد الأحد، واتباع رسول الله ﷺ، وإصرارها المميت على الكفر..؟.

ولم تجد أم مصعب غير طرده من بيتها، وحرمانه من نعـيم ثراءهـا، فقالت له:

- أخرج من بيتي..اذهب لشأنك، لم اعد لم أماً.

اقترب عمير من والدته، وقال لها بتودد:

- يا أمي..أنا لك ناصح، وعليك شفوق..اشهدي بأن لاإله إلا الله، وأن رسول اللهﷺ.

ثارت في وجهه، وقالت غاضبة:

- قسما بالثواقب..فيزرى برأي، ويضعف عقلي.

لم يجد عمير فائدة من الحوار مع والدته، فخرج من بيتها مشفقا عليها، مرتديا أخشن الثياب، جائع البطن، متجها إلى الحبشة مرة أخرى.

لكن عزاءه أن قلبه عامر بنور الله، وروحه متألقة بعقيدة الإيمان.

❖❖❖

ذات مرة، كان الرسول يجلس وسط صحابته، فرأوا مصعب بن عمير قادما من بعيد، يرتدي ثياب شديد الخشونة، على وجهه آثار الجوع.

ملأنه بنظرات الشفقة، وقال لأصحابه:

" انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوَّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون".

(أخرجه الطبراني والبيهقي).

وعَنْ عَلِيِّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قال:

" إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، مَا عَلَيْهِ إِلاَّ بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَكَى لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالَّذِي هُوَ الْيَوْمَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم:

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ، وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى، وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ؟

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ وَنُكْفَى الْمُؤْنَةَ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

لأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ".

(أخرجه الترمذي).

ثم جاءت بيعة العقبة الأولى، والتي بايع فيها اثنا عشر رجلاً من الأنصار رسول الله ﷺ، على اتباع دين الإسلام، ثم طلبوا منه أن يرسل معهم رجلا يعلمهم الدين، ويتلوا عليهم القرآن.

فوق اختيار رسول الله ﷺ ، على مصعب بن عمير، لقد كان شابا لبق الحديث، عالما بالقرآن وتلاوته، غير أنه يتمتع بالهدوء والسكينة.

وبذلك، أصبح مصعب أول سفير للإسلام، مكة إلى المدينة.

استقبله أسعد بن زرارة في داره، وأكرم نزلة، احتراما لمكانته في الإسلام، ولمكانته عند رسول اللهﷺ.

ثم انطلق مصعب في دعوته، فأسلم على يديه سيد الأوس والخزرج "سعد بن معاذ" رضي الله عنه، فاتبعه سبعون رجلا وامرأة.

وبذلك..نجح أول سفير في الإسلام، في بناء قاعدة إسلامية في المدينة، تمهيدا لاستقبال المسلمين المهاجرين، ثم هجرة رسول الله ﷺ، ليجدوا الحرية والأمان، وليعبدوا الله تعالى وحده، بعيدا عن مشركي مكة.

❖❖❖

وبعد الهجرة، أرسى رسول الله ﷺ قواعد الدولة الإسلامية، جاءت غزوة بدر، ودفع رسول اللهﷺ اللواء إلى مصعب، فحمله..وأبلى بلاءا حسنا في ميدان المعركة، حتى اتم الله نصر المؤمنين.

وبعد النصر العظيم للمسلمين في بدر، وقع الكثير من المشركين أسرى في يد المسلمين، أوصى رسول الله ﷺ ، العناية بالأسرى.

تفقد مصعب بن عمير الأسرى، فوجد أخاه "أبا عزيز بن عمير بن هاشم، أسيرا في يد الصحابي محرز بن نضلة.

فقال مصعب لمحرز:

- أشدد على أسيرك، فإن له أما واسعة الثراء، ربما تفديه منك.

وبالفعل، أرسلت امه أربعة آلاف درهم، وافتدت بها ولدها أبو عزيز.

❖❖❖

وعاد المشركون للحرب في أحد، يريدون الثأر لقتلاهم في غزوة بدر، ورد اعتبارهم.

خرجت قريش بكل مالديها من قوة وعتاد، حتى النساء.

وكان من بين النساء، خناس بنت مالك، والدة مصعب بن عمير.

ودارت المعركة، وصال وجال مصعب بن عمير في الميدان، يحمل لواء رسول الله ﷺ ، مقاتلا شجاعا لا يهاب الموت، حتى دنا النصر للمسلمين.

لكن رماة المسلمين تعجلوا الغنائم، فتركوا أماكنهم، وانكشف ظهر المسلمين.

استغل المشركون هذا الخلل، وعاودوا الهجوم على المسلمين، ففر الكثير من المسلمين، حين شعروا بانقضاض المشركين عليهم، إلا رسول الله ﷺ، وعدد من المسلمين الشجعان حوله.

ومن هؤلاء الشجعان.. عثمان بن عفان، وأنس بن النضر، وطلحة بن عبيد الله، وحمزة، وسعيد بن زيد، ومصعب بن عمير، الذي استشهد في هذا الموقف العظيم، قتله ابن قَمِئَة الليثي.

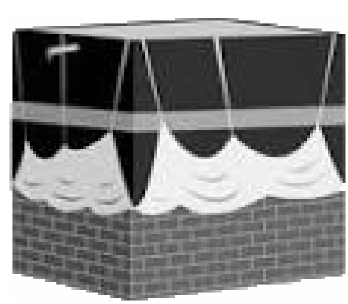
وبعد المعركة، مرّ رسول الله ﷺ، على مصعب بن عمير ، فرآه قد استشهد، فوقف ودعا له.

ثمّ تلا

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

❖❖❖

أبو عبيدة بن الجراح



-١٠-

أمين الأمة

أبو عبيدة بن الجراح



كـان يـستند بجـسده النحيـل، وقامتـه الطويلة، إلى نخلة أمام منزله.

تأنس الشمس بنفسه الطيبة المطمئنة، وبضياء وجهه، وببهاء طلعتـه، وهـي تـودع سماء مكة بأشعتها الذهبية.

شاردا بفكره فئ الكون حوله.

دائما ما يحب التأمل في الكون.

وإذا بـأبي بكـر قادمـا مـن بعيـد، عـلى وجهه ابتسامة عريضة.

انشرح صدره، لهذه الابتسامة المضيئة، وقام مرحبا به.

- أهلا يا أبا بكر..هيا اجلس بجواري.

أبو بكر شد علي يده، وقال:

- مرحبا بك يا أبا عبيدة..أنا أريـدك في أمر هام.

ظهرت علامات الاهتمام على وجـه أبي عبيدة، وقال:

- ماذا عندك يا بن قحافة.؟.

- إني ساءلك..ما رأيك في محمد بن عبد الله.

أغمض أبو عبيدة عينه، كأنه ارتاح لشئ، ثم قال:

- وهل يختلف أحد في مكة على أمانته وحسن أخلاقه..؟.

- ماذا لو قلت لك أنه يأتيه الوحي من السماء، وأنه نبي آخر الزمان..فهل تؤمن بذلك.؟.

- ولماذا لا أؤمن به..وهو الصادق الأمين.؟.

- إذن..أنا أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمدا عبد الله ورسوله.

ودون تردد..شهد أبوعبيده بن الجراح كما قال له أبو بكر.

فرح أبو بكر ، ثم أمسك ذراعه، ومضى به إلى عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، والأرقم بن أبي الأرقم.

ثم دخل الجمع على رسول الله ﷺ، وأعلنوا إسلامهم بين يديه، ليكونوا النواة التي تقوم عليها امة الإسلام.

كان هذا الموقف، في اليوم التالي لإسلام أبي بكر الصديق، ليصبح أبو عبيدة بن الجراح ومن معه من السابقين الأوائل للإسلام.

هذا هو عامر بن عبدالله الجراح الفهري القرشي، وكنيته أبو عبيده، وأمين أمة الإسلام، والذي يلتقي مع رسول الله ﷺ، في أحد أجداده (فهمر بن مالك).

حسن إسلام أبو عبيدة بن الجراح، إلى أن نال لقب أمين هذه الأمة.

حتى أن عبد الله بن عمر قال فيه وفي بعض الصحابة:

"ثلاثة من قريش، أصبح الناس وجوها، وأحسنها أخلاقا، وأثبتها حياء، إن حدثوك لم يكْذِبُوكَ، وإن حدثتهم لم يكذّبوك، أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبا عبيده بن الجراح".

تلقى عبيدة تعاليم الدين من رسول الله ﷺ، وروى عنه بعض من الأحاديث.

وعندما بدأت قريش في تعذيب الضعفاء من المسلمين، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عاد ليرافق النبي رحلة الجهاد.

ظهرت براعة أبي عبيدة القتالية في معركة بدر، لقد سرى بسيفه في رقاب المشركين، مخترقا صفوفهم، رغم قلة العدد والعدة للمسلمين.

حتى أن المشركين كانوا يفرون من أمامه، لقد بدا لهم أن أبو عبيدة يقاتل عن عقيدة، ولن يموت دونها.

إلا رجلا واحدا..كان يعترض أبو عبيدة كلما راج.

وأبو عبيدة كان يتحاشى هذا الرجل، ولم يشأ أن يرفع عليه سيفه، ليس ضعفا منه، ولكن برا به، وشفقة عليه.

لكن الرجل ظل يعترض أبو عبيدة، يريد أن يقعد من همته القتالية، ليكف أبو عبيدة عن قتل المشركين.

ثم رأي الرجل يهجم عليه، يريد قتله، فتفادى أبو عبيده ضربة الرجل، ثم عاود الرجل الهجوم مرة بعد مرة، حتى ضاق أبو عبيدة، فتصدى له بسيفه، وأوقعه أبو عبيدة بضربة سيف واحدة.

والمفاجأة..أن الرجل هو عبد الله الجراح الفهري، والد أبي عبيده.

لكنه كان يقاتل في صفوف المشركين.

فأنزل الله قوله تعالى:

(لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يُوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءَ هُم أو أبناءَ هم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتبَ في قلوبهم الأيمان.).

وفي موقعة أحد، جاءت قريش لرد اعتبارها، جمعت كل مالديها من قوة، حتى النساء، جئن يحمسن الرجال على القتال.

ودارت المعركة..وأبلي المسلمون بلاء حسنا، واقتربوا من النصر.

لكن..الرماة من المسلمين تعجلوا النصر، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ، وتركوا أماكنهم، وانشغلوا بجمع الغنائم، فانكشف ظهر المسلمين.

كانت لحظة حاسمة في عمر هذه المعركة، استغل فيها المشركون خطأ الرماة، وهجموا على المسلمين، وانقلبت الموازين، واستعاد المشركون توازنهم في الميدان،

وهرب الكثير من المسلمين من الميدان، إلا رسول الله ﷺ، وقليل من الأبطال، ثبتوا مع الرسول، ومنهم عبيدة بن الجراح، يصدون عن رسول الله ﷺ، سهام المشركين ورماحهم.

ويعلو صوت أحد المشركين.

"دلوني على محمد"

يريد أن يقتل رسول الله ﷺ.

يشق أبو عبيدة الميدان كالبرق، يقترب من رسول الله ﷺ أكثر، حتى لا يمسه سيف أو رمح أو سهم، حتى استعاد المسلمون صفوفهم مرة أخرى، ثم انتهت المعركة.

ورغم ثبات الأبطال، أصيب رسول الله ﷺ بجروح في جبهته، وغارت حلقتان من الحديد في وجنتيه.

تقدم ألصديق، يريد انتزاع الحلقتين من وجهه الشريف ﷺ، لكن أبو عبيدة أصر على ان يقوم بهذه المهمة الصعبة.

واقترب أبو عبيدة من وجه رسول الله ﷺ، وأمسك الحلقة الأولى بأسنانه، عض عليها بكل قوة، وانتزعها بهدوء، دون أن يتألم رسول الله ﷺ، واقتلعت معها إحدى أسنانه الأمامية.

ثم التفت إلى وجنته الثانية، وعض على الحلقة، وانتزعها كما فعل بالحلقة الأولى، واقتلعت معها السّنة الثانية، فأصبح أبو عبيدة اهتما، حبا في رسول الله ﷺ.

❖❖❖

ذات مرة..كان رسول الله ﷺ بين أصحابه، فإذا بوفد من نصاري نجران يقبلون عليهم.

وعندما وقفوا بين يدي رسول الله ﷺ.

قال كبيرهم:

- يا أبا القاسم..ابعث معنا رجلا من أصحابك، ترضاه لنا، ليحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها، فانكم عندنا معشر المسلمين مرضيون.

قال رسول الله:

- أأتوني غدا، وسوف أبعث معكم القوي الأمين.

نظر عمر بن الخطاب في الجالسين، ثم قال في نفسه.

" من سيكون القوي الأمين الذي سوف يختاره رسول الله..من سيفوز باللقب..من سيفوز بثقة رسول الله..؟.

ظلت هذه الأسئلة تتردد في عقل عمر بن الخطاب، حتى تمنى ان يكون هو صاحب هذه الثقة، وصاحب لقب القوي الأمين الذي قال عنه رسول الله، رغم أنه لايحب الإمارة أبدا.

وفي اليوم التالي، أسرع عمر بن الخطاب إلى مجلس رسول الله ﷺ، لعله يقع اختيار رسول الله ﷺ عليه، ويكون هو صاحب لقب القوي الأمين.

وبعد صلاة الظهر، جاء وفد النصارى، فنظر رسول الله ﷺ يمينا ويسارا، يقلب نظره في الصحابة، وعمر بن الخطاب يتمطى بجسده ورقبته لأعلى، حتى يراه رسول الله ﷺ.

لكن رسول الله ﷺ مازال يقلب نظراته في الصحابة، حتى وقعت على عبيدو بن الجراح، وقال:

- اخرج معهم يا ابا عبيدة، واقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

فقال عمر بن الخطاب في نفسه:

"ذهب بها ابو عبيدة"

ولذلك..قال عنه رسول الله ﷺ:

"لكل أمة أمين..وأمين هذه الأمة، عبيدة بن الجراح"

أخرجه البخاري عن انس في الصحيح.

***

عاش أبو عبيدة بن الجراح مجاهدا في سبيل الله طيلة حياته، وخاض مع رسول الله ﷺ كل المعارك، فلم تقعد له همة، أو يقعده تقدمه في العمر.

وفي كل معركة يكون له علامة بارزة في الجهاد، فأصبح قدوة للكثير من حولة من المسلمين.

ولم يكلفه رسول الله ﷺ بأمر، إلا قام بتأديته كما يجب.

فاهو هو اميرا على جمع من الصحابة، بعثهم رسول الله ﷺ ليتلقوا عير قريش.

لم يجد رسول الله ﷺ ما يمول به هذه السرية، غير جرابا به تمر.

ومضى أبو عبيدة بسريته، متحديا صعاب السفر وخشونة الصحراء، رغم قلة الزاد.

فكان يعطى الرجل من الصحابة تمرة واحدة كل يوم، فيمصها..ثم يشرب عليها الماء، فتكفيه إلى الليل.

❖❖❖

ورغم وفاة رسول الله ﷺ، ظل أبو عبيدة في ضرب الأمثلة والورع، ودرجة الإيمان بالله الواحد الأحد.

لم تقعد همته في عهد أبي بكر الصديق، أو في عهد عمر بن الخطاب.

لأنه يجاهد في سبيل الله، ولإعلاء دين الله في الأرض، ولم يجاهد من أجل دنيا أو شهرة ينالها.

وتمر الأيام سريعا، وتوفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتولى عمر بن الخطاب إمارة المسلمين.

في هذا الوقت، كان خالد بن الوليد يقود جيش المسلمين، يفتح بلد ثم أخرى، حتى جاءت معركة اليرموك، التي هزمت فيها الإمبراطورية الرومانية.

وذاع صيت خالد بن الوليد في أنحاء البلاد، حتى ظن بعض الناس أن النصر لا يتم إلا بخالد بن الوليد.

خشي عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد من الفتنة والغرور،

ففي عهد عمر بن الخطاب، كان له موقف رائع في الزهد والأخلاق معا.

حين انتصر خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين في أكثر من معركة، وذاع اسمه في أنحاء الأرض.

خشى عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد من الغرور، وخشي أن تظن الناس أن النصر لا يكون إلا بيد خالد بن الوليد، وليس من عند الله.

فأرسل عمر بن الخطاب كتابا إلى عبيدة بن الجراح، أمره فيه أن يتولى قيادة الجيش، بدلا من خالد بن الوليد.

عندما استلم عبيدة الكتاب، وقع في حيرة شديدة.

ماذا يفعل الآن.؟.

الجيش في الميدان.. وخالد بن الوليد يتقدم وينتصر في كل معاركة، وتمت فتوحات كثيرة على يديه.

هل يبلغ خالد بعزله أثناء الحرب.؟.

ليس من المعقول أن يفعل ذلك..فسوف يخذله.. وربما يخذل الجنود معه.

ودخل أبو عبيدة الصفوف جنديا مع المجاهدين، وكأن شيئا لم يكن.

وانتصر المسلمون في المعركة، وتقدم أبو عبيدة، وهنأ القائد خالد بن الوليد بالنصر، ثم قدم له الكتاب الذي جاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والذي يأمر فيه بعزل خالد عن قيادة الجيش، ليتولى أبو عبيده القيادة.

تعجب خالد، وسأله:

- ولماذا لم تبلغني يا أبا عبيدة بالأمر...؟.

فقال أبو عبيدة في أدب جم:

- والله إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، وكلنا في الله أخوة.

ابتسم خالد بن الوليد، واحتضن أبو عبيدة بن الجراح، وسلمه قيادة الجيش وهو يقول:

- رحمنا الله وإياكم يا أبو عبيدة.

❖❖❖

وعندما تولى أبو عبيدة القيادة، فتح الله على يدي الديار الشامية كلها، وبلغ الفرات شرقا، وبلاد أسيا الصغرى شمالا.

وذات مرة، زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو عبيدة بن الجراح في بيته، ونظر حوله، فلم يجد شيئا من الأثاث ليقعد عليه، ووجد سيفا وقدر من الماء، مغطى بكسرة خبز.

تعجب عمر بن الخطاب، لأن أبا عبيدة لم يتخذ لنفسه في بيته ما يتخذه الناس، زهدا في الدنيا ومتاعها.

***

وظل أبو عبيدة قائدا للجيش، حتى تم فتح بلاد الشام كلها.

ثم داهم البلاد طاعون عام، راح يحصد أرواح الناس بلا رحمة.

سرعان ما أرسل عمر بن الخطاب كتابا إلى أبي عبيدة بن الجراح، قال فيه:

(إني بَدَتْ لي إليك حاجة، لا غِنى لي عنك فيها، فإنْ أتاك كِتابي هذا، إنْ أتاكَ ليْلاً فإني أعْزِمُ عليك ألاَّ تُصْبِحُ حتى تَرْكَبَ إلَيَّ، وإنْ أتاك كِتابي نهاراً فإني أعْزِمُ عليك ألاَّ تُمْسي حتى ترْكَبَ إلَيَّ)

أدرك أبو عبيدة ما يريده أمير المؤمنين، فكتب إليه كتابا، قال له فيه:

" أريد فراق الجند، حتى يقضى الله فينا جميعا أمره، فإذا أتاك كتابي هذا، فحللني من عزمك، وأذن لي بالبقاء".
عندما قرأ عمر بن الخطاب الكتاب، بكى بشدة، خوفا على رجل عظيم متواضع مثل أبو عبيدة، حتى تعجب من حوله، وسألوه:

- ماذا يا أمير المؤمنين..هل مات أبو عبيدة بن الجراح.؟.

فقال عمر:

- لا.. لكن الموت قريب منه.

وبعد أيام، رقد أبو عبيدة بن الجراح، مستسلما للموت الذي دنا إليه بشدة.

وقبل أن يلفظ انفاسه الأخيرة، قال لمن حوله:

(أقيموا الصلاة، وصوموا رمضان، وتصَدَّقوا، وحُجُّوا، واعْتَمِروا، وتواصوا, وانْصحوا لأُمرائِكم ولا تغُشُّوهم، ولا تُلْهِكم الدنيا، فإنَّ المرء لو عُمِّر ألف حَوْلٍ ما كان له بُدٌّ من أن يصير إلى مصْرعي هذا الذي تَرَوْن)

اِلْتَفَتَ سيِّدُنا أبو عُبَيْدة إلى مُعاذ بن جبل، والذي كان قريبا منه وقال :

" يا مُعاذ، صلِّ بِالناس"

ثم فاضَتْ روحُهُ الطاهِرة.

فقال معاذ:

" يا أيها الناس, إنكم قد فُجِعْتُم بِرَجُلٍ، واللهِ ما أعلم أني رأيتُ رجُلاً أبرَّ صدْراً ولا أبعد غائِلَةً، ولا أشدَّ حُباً للعاقِبَة، ولا أنصح للعامَّة منهم فَتَرَحَّموا عليه يرْحَمْكم الله).

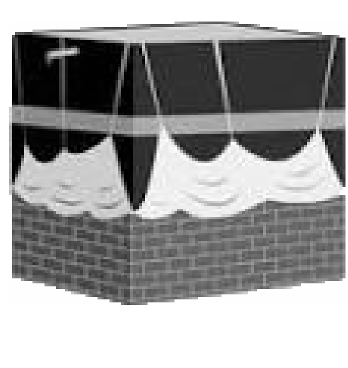
بكى عمر الخطاب بكاء شديدا، حزنا على وفاة أبو عبيدة بن الجراح وقال:

(لو كنت مُتَمَنِّياً ما تَمَنَّيْتُ إلا بيْتاً مملوء بِرِجالٍ مثل أبي عُبَيْدة).

رحم الله سيدنا أبو عبيدة، وجميع أموات المسلمين.

❖❖❖

أبو دجانة



-١١-

صاحب العمامة الحمراء

أبو دجانة



احذروا هذا الرجل..

احذروا هذا الأنصاري..

لا تقفوا في طريق صاحب العمامة الحمراء..

هكذا كان المشركون يصرخون على بعضهم البعض، يحذرون من رجل يجوب ميدان معركة بدر، يطيح بكل من يقف أمامه، لا يستطيع أحد مواجهته، أوقع الكثير من الجرحى والقتلى أيضا، ضرباته عنيفة، رغم أنه يقاتل وهو على قدميه، ولم يمتطي فرسا آو ناقة مثل الكثير من المشركين.

لم يعرف الكثير من يكون هذا الرجل، حتى بعض الصحابة، لم يعرفوا اسمه، لكنه كان يتميز بعصابة حمراء على رأسه، قالوا عنه صاحب عصابة الموت.

بعد انتصار المسلمين في بدر، تساءل البعض عنه هذا الرجل، وقالوا:

إذا كان حمزة يضع ريشة نعامة على رأسه وقت النزال، وعلى بن أبي طالب يضع صوفة بيضاء، والزبير يضع عصابة صفراء على رأسه، فمن

هو الرابع الذي يضع عصابة حمراء، مقلدا ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ.

ابتسم عتبة بن غزوان، وهو أحد المهاجرين وقال:

إنه أخى في الله "سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان، أنصارى من الخزرج، ويكنى با أبي دجانة.

***

ومرت أيام، والمسلمون يعيشون فرحة النصر بأهم وأول معركة في تاريخ المسلمين، ألا وهي معركة بدر الكبرى.

في الوقت الذي يعاني فيه المشركون في مكة مرار الهزيمة، يتعجبون كيف لقلة قليلة العدة والعتاد، يتغلبون علينا ونحن سادة قريش.

بدأت قريش تعد العدة للأخذ بالثار لقتلاهم في بدر، واستعد المسلمين للدفاع عن أنفسهم، وللحفاظ عن هيبتهم التي اكتسبوها في المعركة الأولى.

أعطى رسول الله ﷺ أوامره لكل فرقة، وشدد عليهم بالتزام التعاليم، حتى يدركهم النصر بإذن الله.

ثم نظر رسول الله ﷺ في الصفوف، ورفع سيفا كان في يده الشريفة، وقال:

- من يأخذ هذا السيف..؟.

وفي لحظة، تزاحمت الأيادي، كل يريد أن يأخذ السيف، وينال شرف امتلاك شئ لمسه رسول الله ﷺ، وكان فيهم عمر بن الخطاب والزبير بن العوام.

دار رسول الله ﷺ فيهم وهو يبتسم، ثم قال:

- من يأخذه بحقه..؟.

وهنا تراجعت الأيادي، وذهبت العقول تفكر...

ما هو حق هذا السيف... لابد أن ثمنه غالٍ جدا.. من يستطع على ثمن شئ عرضه رسول الله ﷺ للبيع..؟.

ووسط الصمت، تقدم أبو دجانة، وسأل رسول الله ﷺ:

وما حقه يا رسول الله..؟.

قال صلى الله عليه وسلم: - تقاتل به في سبيل الله حتى يفتح الله عليك أو تقتل،

فقال أبو دجانة بلهجة قوية: أنا آخذه بحقه فدفعه رسول الله ﷺ:إليه، في هذا الموقف، تملكت النفس البشرية من الصحابي الجليل الزبير ابن العوام، وكتم غضبه، تساءل مع نفسه:

" كيف لرسول الله ﷺ أن يدفع سيفا لرجل أنصاري مثل أبي دجانة، رغم أنني مددت يدي مثله، وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب، غير أنني أقرب الأقربين لرسول الله ﷺ، فأنا ابن عمته صفية.

وقرر الصحابي الجليل الزبير بن العوام مراقبة أبي دجانة، يريد أن يعرف ماذا يفعل هذا الأنصاري الفائز بسيف من رسول الله ﷺ.

وقبل بدء المعركة، رآه يعتصب بعصابته الحمراء، والتي يقال عنها عصابة الموت، ثم امتشق سيف رسول الله ﷺ، واعتلى صهوة فرسه ومشى في كبر وخيلاء متبخترا بين الصفوف فقال رسول الله ﷺ. إن هذه مشية يبغضها الله ، عز وجل ، إلا في هذا المقام"

لم يقصد أبو دجانة الكبر والخيلاء في مشيته هذه، ولكنه كان يريد إظهار القوة والثقة في النفس، ليثير الرعب والخوف في قلوب المشركين،

ثم بدأت ملحمة أحد، أبلي أبو دجانة بلاءً حسنا، وفعل بالمشركين الأفاعيل، سار بسيفه في أعناقهم وأجسادهم، ولم يلتق بمشرك إلا إذا أوقعه قتيلا، أو جريحا، ولذلك كانوا يفرون منه أمامه.

حتى إنه كان ينشد محمسا نفسه كعادة العرب، قائلا:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

وبينما هو كذلك، فإذا بصوت يأتي من سفح الجبل، يحمس المشركين على قتل المسلمين، ويقول:

نمشي على النمارق نحن بنات طارق

إن تقبلوا نعانق والمسك في المفارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

فاتجه أبو دجانة إلى صاحب الصوت، فإذا هي هند بنت عتبة، والتي كانت أشد الناس كرها للإسلام والمسلمين، فهي لم تنس قتل أبيها وأخيها وزوجها وابن عمها يوم بدر.

وعندما رأت هند بنت عتبة أبا دجانة وسيفه البتار، ارتعدت ونادت " يا آل صخر..يا آل صخر"..

نظر أبو دجانة، ينظر من القادم ليجير هند بنت عتبة، ولكنه لها مجير، فانصرف عنها أبو دجانة دون أن يفعل شيئا.

استوقفه الزبير بن العوام، وقال له:

اتبعتك فأعجبني صنيعك إلا شيئا واحدا.

وما هو يا أخي..؟.

هو أنك لم تقتل المرأة.

ابتسم دجانة وقال:

- حين نادت المرأة على آل صخر، فلم يجبها أحد، فاستحييت أن أضرب امرأة لا ناصر لها، إكراما لسيف رسول الله ﷺ.

هكذا هي أخلاق الفرسان، وهذه هي مبادئ الاسلام، التي يوصي بها رسول الله ﷺ المجاهدين قبل المعركة.

أعجب الزبير بالصحابي الجليل أبو دجانة، وشد على يديه بقوة، ثم عادا إلى القتال مرة أخرى، يفعلان في المشركين بسيوفهما مع المجاهدين، حتى أصبح المسلمين أقر إلى النصر بهذه المعركة، وفر الكثير من المشركين من الميدان، تاركين امتعتهم، حتى يقلتوا خفافا.

لكن حدث ماكان يحذره رسول الله ﷺ.

لقد ترك الرماة أماكنهم، طمعا في الغنائم التي تركها المشركون، ونزلوا من فوق الجبل، فضعفت قوة المسلمين، وأصبحوا صيدا سهلا للمشركين، الذين عادوا مرة أخرى للميدان، لتنقلب الموازيين، وينقلب نصر المسلمين إلى هزيمة، بسبب مخالفة أوامر رسول الله ﷺ.

ليت هذا فحسب.. لقد أقترب المشركون من رسول الله ﷺ، يريدون قتله، بعد أن ابتعد الكثير من المسلمين، ولم يعد حول رسول الله ﷺ إلا القليل.

وهنا ثبت مصعب بن عمير أمام رسول الله ﷺ، وراح يصد عنه ضربات السيوف والنبال بكل براعة، لكنه وقع شهيدا.

فقفز أبو دجانة، وحل مكان مصعب بن عمير، وظل يدافع عن رسول الله ﷺ، احتضنه.. نحنى عليه..وجعل من ظهره سدا منيعا لضربات السيوف والنبال، حتى أصبح ظهره مثل القنفذ، من كثرة السهام.

وأخيرا جاء عدد من المسلمين، وأحاطوا رسول الله ﷺ مع دجانة، ودافعوا عنه، حتى رجع المشركين.

❖❖❖

مازالت صفحات أبو دجانة مليئة بالأعمال البطولية الناصعة، والتي سطرها بفدائية عالية في صدر التاريخ.

ففي يوم خيبر، خرج يهودي يـدعى غـزال، دعـا للمبـارزة، فـانطلق الحباب بن المنذر من بين صفوف المسلمين، وراح معه في مبارزة طويلـة، حتى أنهكه الحباب، ثم ضربة ضربة قاتلة، قطـع بهـا ذراعـه، ثـم انقـض عليه وقتله.

أراد أحد اليهود أن ينتقم لمقتل صاحبه، فخرج داعيا للمبارزة، فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتله اليهودي.

ثم خرج يهودي ثالث، دعا للمبارزة.

استـشاط أبـو دجانـة غـضبا، وخـرج مـن بـين الـصفوف يختـال في خطواته، على رأسـه عـصابته الحمـراء التـي يتميـز بهـا، دار حولـه دورة كاملة، أدخل في نفس اليهودي الرعب، ثم انقض عليه أبو دجانة، بـضربة مفاجئة، قطع بها رجله.

لم يكتف أبو دجانة بذلك، بل انقض عليه مرة ثانيـة، وقـضى عليـه، ثم سلبه درعه وسيفه، وراح بهما إلى رسول الله ﷺ، فكبر المسلمون، وبدأ القتال.

❖❖❖

أما في غزوة جنين.

رأى أبو دجانة رجلا فوق جمل أحمر، بيـده رمـح طويـل، في أعـلى الرمح راية سوداء.

لم يدرك هذا الرجل مسلما إلا وقتلـه، مـما أثـار غـضب أبي دجانـة، ولكن كيف يتغلب عليه وهو فوق هذا الجمل العالى..؟.

فكر أبو دجانـة لحظـة، فلـم يجـد إلا أن يركـع الجمـل، أو يـسقط الرجل من فوقه.

ثم هجم على الجمل من الخلـف، أمـسك برجليـه الخلفيتـين، شـل حركته لحظة، أصدر الجمل صوت استغاثة، التفت الرجل للخلـف، وهـم بتوجيه ضربة برمحه إلى أبو دجانة.

قبل أن يصل الرمح إلى أبو دجانة، كان على بن أبي طالب يقف لهـا بالمرصاد، هجم على الرجل، فقطع إحدى يديه، ثم قطع أبو دجانـة يـده الأخرى.

في هذه اللحظة، جاء رجل آخر على فرسه، حاول مهاجمة عـلى بـن أبي طالب وأبودجانة، لكن أحدهما ضرب الفرس من الأمـام، أوقعـه عـلى وجهه، فوقع الرجل، ثم انهالا عليه بسيوفهما.

❖❖❖

وبعد وفاة رسـول الله ﷺ، ظـل أبـو دجانـة في جهـاده، حتـى زيـن التاريخ أسمه وأعماله في الكثير من كتب السير.

فها هو يتقدم الـصف الأول في جـيش المـسلمين، الذاهبـة لمحاربـة بني حذيفة، وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب، الـذي ادعـي النبـوة، وتـزعم المرتدين عن الإسلام، بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وهجم المسلمون هجمة واحدة عـلى القـوم، بعـد أن كـبروا تكبـيرة قوية، أرعبت مسيلمة وقومه، وأجبروهم على الهرب إلى حديقة لهم.

تحصن قوم مسيلمة وقومـه بالحديقـة، لم ييـأس المـسلمون، وراحـوا يحاولون الدخول إليهم، ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل.

وقفوا يفكرون... هل يعودون إلى المدينة ويتركون مسيلمة وقومه.. أم يظلون في حصارهم للحديقة..؟.

وفجأة .. تقدم البطل أبـو دجانـة، وطلـب مـن زملائـه أن يحملـوه ويلقوه داخل الحديقة من أعلى السور.

كانت فكرة مجنونة..فكيف لوأحد أن يواجه قوما بأكمله بعد أن يلقوه زملائه داخل الحصن..؟.

ولذلك رفض الكثير منهم الفكرة، لأنها مجازفة فاشلة لا محالة.

لكن أبو دجانة أصر على فكرته، فحملوه وألقوه داخل الحديقة وسط الأعداء، فانكسرت رجله، ورغم ذلك كان يقاتل بشراسة.

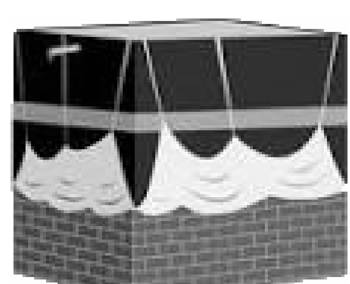
ارتبك قوم بني حنيفة، وانشغلوا بالهجوم على هذا البطل، مما أعطى الفرصة للمسلمين لاقتحام أبواب الحديقة، فدخلوها مسرعين، وظلوا في محاربة مسيلمة وقومه، وأوقعوا منهم الكثير قتلي، ووقع من المسلمين شهداء، حتى فر قوم حنيفة من المعركة.

أما عن الصحابي الجليل أبي دجانة، لم تمنعه رجله المكسورة عن القتال، ظل يقاتل بشراسة، حتى جاءه سهم في صدره، فوقع شهيدا بإذن الله..

❖❖❖

.

أبو بردة بن نيار



-١٢-

المقاتل الماهر
أبو بردة بن نيار

صاحت الديكة، أعلنت مولد يوم جديد.

نزع الصبي "البراء بن عازب" نفسه من الفراش، أسرع إلى البيت المجاور، طرق الباب في لهفة، فحرج جده لأمه، وسأله:

ما الخبر يا براء..؟.

لم يجب البراء على سؤال جده، وكرر سؤاله.

- أين خالي أبو بردة يا جدي..؟.



ابتسم جده العجوز، وربت على رأسه وقال متضاحكا:

سافر إلى المدينة مع القافلة كما تعلم.

منذ متى .؟.

يااه... منذ ثلاث ساعات تقريبا.

أغرورقت عين الصبي بالدموع، وسار من أمام جده، ولم يستجب لندائه المتكرر.

ذهب خلف الدار، جلس يبكي، متكئا بظهره إلى جذوع النخل.

كانت أمه تراقبه، فهى تعرف أن ولدها كان

يريد السفر إلى مكة مع خاله، ولكنها خشيت عليه من إرهاق السفر.

خرجت إليه، وجلست بجواره تهدهده، وتخفف من أحزانه قائلة:

خالك أبو بردة يحبك يا براء، وسوف يأتي لك بالهدايا من مكة كما تعرف.

لو كان يحبني، ما أخلف وعده لي، وأخذني معه.

الحق يا براء.. أنا التي رفضت سفرك، وليس هو..

لماذا يا أماه.. أنت تعرفين أنني أحب مكة.

أخشى عليك يا ولدي من مخاطر الطريق.

اعتاد أبو بردة السفر إلى مكة بين الحين والآخر، لكن سفره هذه المرة ليس للحج فقط، بل كان لأمر مهم للغاية، ألا وهو لقاء رسول الله ﷺ، ومبايعته على الولاء والطاعة، حيث أنه كان من السبعين رجلا الذين بايعوه ﷺ عند العقبة الثانية.

***

كان الوقت عصرا، عندما سمع أبو البراء عن عودة القافلة، أراد أن يذهب للقائها على مشارف المدينة، شوقا إلى خاله الذي يحبه، وليستلم هداياه التي أحضرها معه.

لكنه جده أمهله، وأجلسه بجواره، خوفا عليه، لأن المسافة بعيدة بين الدار ومشارف المدينة.

فجلس يعلق عينيه هناك بأول الطريق، ينتظر اللحظة التي يظهر فيها خاله.

وقبل المغرب بقليل، ظهر خاله أبو بردة، فانفلت من قبضت جده، وأسرع إليه، ارتمي بين احتضانه، ثم أمسك زمام الناقة، وسار جواره، يسأله في لهجة المعاتب:

- لماذا تأخرت يا خالي.. رغم قدومكم منذ العصر..؟.

ابتسم أبو بردة بن نيار، ومسح على رأس الصبي، ولم يجبه، بل سأله عن أحوالهم خلال الأيام الماضية.

كان والد أبو بردة يجلس أمام الدار، لم يكن أقل لهفة على ولده، بل كان في شوق إلى سماع أخبار سعيدة قادمة مكة يحملها أبو بردة.

عاجله بالسؤال قائلا:

- أخبرني يا ولدي... كيف حال نبي آخر الزمان.. وماذا كان بينكم... ولماذا تأخرت..؟.

ابتسم أبو برد وقال:

- مهلا يا أبي... دعني أجلس بجوارك أولا.

جلس أبو بردة بجوار والده، ثم أخرج الهدايا للصبي البراء بن عازب، وقال:

- أما عن تأخيري، لقد استوقفتنا الناس على مشارف المدينة، يريدون أن يعرفوا أخبار مكة، وأخبار هذا النبي، وماذا فعلنا معه في العقبة الثانية، هل بايعناه كما عزمنا من قبل، أم تراجعنا عن مبايعته..؟.

- وأنا مشتاق أيضا أن أعرف يا ولدي.. احك لي عن هذا النبي، لقد اشتقت إلى رؤيته حقا.

- كنا واحدا وسبعين رجلا وامرأتين، اتفقنا سرا مع رسول الله ﷺ، بعيدا عن أعين قريش، وبايعناه على أن نمنعه مما نمنع منه نسائنا أبنائنا, وأعطيناه المواثيق والعهود على الولاء والطاعة، حين يهاجر من مكة إلى المدينة.

تهلل وجه الرجل، وقال:

هل سيأتي لنا رسول الله حقا..؟.

نعم يا أبي

متى..؟.

حين يأذن له الله.

كانت مبايعة رسول الله ﷺ هي الغاية التي سافر لأجلها أبو بردة بن نيار، أو الحارث بن عمرو الأنصاري، أو هانئ بن نيار.

هذه هي بعض من أسمائه التي وردت في كتب السيرة.

ومنذ عودته، ظل يترقب اللحظة التي يأتي فيها رسول الله ﷺ مهاجرا، يدعو الله أن يعجل بأمر السماء، حتى يأنس بصحبة رسول الله ﷺ، عازما على أن يهب حياته وما يملك لله الواحد الأحد.

ثم جاء اليوم الموعود، فخرج مع أهل المدينة، واستقبلوا رسول الله ﷺ،احتفل بقدومه معهم، ثم لزم رفقته.

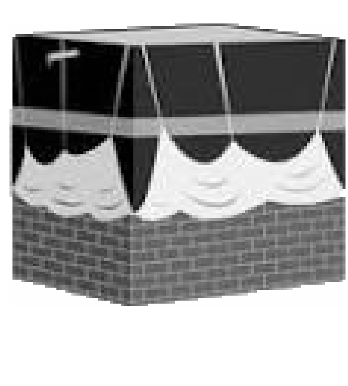
صدق أبو بردة بن نيار، ووهب حياته لخدمة الإسلام قولا وعملا، فكان من رواة أحاديث رسول الله ﷺ، وإن كانت قليلة، أجمع العلماء على صحتها.

وكان من أمهر رماة المجاهدين في غزوة بدر، ومن المقاتلين بالسيف في غزوة أحد، مظهرا مواهبه القتالية، بالسيف مرة، وبالسهام أخرى، ثم نال شرف حمل راية بني حارثة في غزوة الفتح.

ظل في جهاده منذ غزوة بدر، حتى فتوحات الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، لم يتخلف عن الجهاد مرة، حتى عصر خلافة معاوية، ومات في بداية أربعينيات الهجرة.

❖❖❖

عكاشة بن محصن بن حرثان



-١٣-

صاحب العرجون البتار

عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن بن حُرْثان

الله اكبر



انطلقت من القلوب قبل الحناجر، ملأت ميدان المعركة، وزلزلت الجبال حولها، وعانقت السماء، فأرعبت قلوب المشركين.

انطلق معها الصحابي الجليل ، بل لم ينتظر حتى تكمل حروفها، فكان كالسهم وسط المشركين.

شق صفوفهم، وراح يضرب بسيفه في رقابهم، أعملت حركاته ووثباته الرعب في قلوبهم، فتحاشوا مواجهته، وفروا أمامه هربا.

إنه الصحابي الجليل عكاشة بن محصن. أحد سادت قريش.

منذ هجرته من مكة إلى المدينة، وهو يحلم بيوم يلتقي فيه مع جبابرة قريش في ميدان معركة، أي معركة، حتى ينتقم لله ولرسوله وللمؤمنين الذين ذاقوا أشد أنواع التعذيب.

وها هي معركة بدر، جاءت ليروى ظمأه، وينتقم منهم أشد الانتقام.

فكلما ضرب بسيفه، تذكر السياط التي كانت تنزل على بلال بن رباح وإخوانه، فيشتد غيظا، وتشتد ضرباته.

ومن كثرة ضرباته المتكررة، انكسر سيفه.

ماذا يفعل عكاشة وهو في الميدان..؟.

رغم أنه الآن أعزل، لم يخش السيوف التي تلوح في الهواء حوله، ولم يخشى الموت، فهو يعرف أن هناك شئ أثمن وأغلى من الدنيا وما فيها، ألا وهي الجنة.

وبينما هو كذلك، فإذا بصوت رسول الله ﷺ يناديه، فالتف إليه في لهفة، فرآه يلقي إليه عرجونا – عودا- فأصبح في يده سيفا بترا قويا بإذن الله.

ها هي معجزة جديدة من معجزات رسول الله، تحققت في يد عكاشة، الذي عاد إلى القتال، ونال من المشركين بقدر ما يستطيع، حتى كتب الله النصر للمسلمين.

بعد غزوة بدر، ظل هذا السيف مع عكاشة لا يفارقه، خاض به كل المعارك مع رسول الله ﷺ ، حتى عهد أبي بكر الصديق فيما بعد.

كان عكاشة من السابقين الأوائل ، وله مكانة كبيرة عند الله ورسوله.

ولذلك..جعله الله من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وبغير سابقة عذاب، وهذا ما جاء في حديث رسول الله ﷺ:

روى حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرِّ، عن ابن مسعود أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال" :عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ بِالمَوْسِمِ، فَرَاثَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي، ثُمَّ رَأَيْتُهُمْ فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ قَدْ مَلَئُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ! قُلْتُ: نَعَمْ يَا ربِّ .قَالَ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُون، وَلَا يَكْتَوُون، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلونَ ."فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله، ادْعُ الله أَنْ يجعلني منهم: فقال" :أَنْتَ مِنْهُمْ "، ودعا له. فقام رجل آخر، فقال: يا رسول الله، ادْعُ الله أَنْ يجعلني منهم. فقال" :سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ."

ولعلنا نتعجب.. لماذا لم يدعو رسول الله ﷺ لهذا الرجل مثلما دعا للصحابي الجليل عكاشةّ.. رغم أن رسول الله ﷺ لم يرد سؤال أحد قط..!.

لكن أهل العلم سبقونا بالإجابة، وقالوا لأن السائل كان منافقا.

ولأن عكاشة كان صادقا في إيمانه، أرسله رسول الله ﷺ على رأس سرية، في مهمة استكشافية، على رأس أربعين رجلا، ثم عادوا دون أن يعترضهم أحد.

لم يمل عكاشة أو يكف عن الجهاد، حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ، لقد وهب حياته لنصر دين الله في الأرض.

ولذلك وضع نفسه تحت أمر أول خليفة للمسلمين،أبي بكر الصديق، وراح يقاتل أهل الردة، الذين ارتدوا عن الإسلام.

عندما ارتد طليحة بن خويلد الأسد كبير عن الإسلام، ذهب عكاشة مع الجيش لمحاربته، تحت قيادة خالد بن الوليد.

وقبل أن يلتقي الجيشان، أرسل خالد بن الوليد عكاشة وثابت ابن أقرم ليأتيا بأمر طليحة ومن معه من المرتدين.

فانطلق عكاشة على فرسه الرّزام، ومعه ثابت على فرسه المحبّر، ولم يعرفا أن طليحة وأخوه كانا يتربصان لهما.

وفجأة.. انقض طليحة وأخوه سلمة بن خويلد عليهما.

سرعان ما انتبه عكاشة، وراح يقاوم طليحة، لكن سلمه سرعان ما قتل الصحابي الجليل ثابت.

استمرت المبارزة بين عكاشة وطليحة وقتا قليلا، وكاد أن يغلبه عكاشة، لكن طليحة صرخ، مستنجدا بأخيه سلمة، وقال:

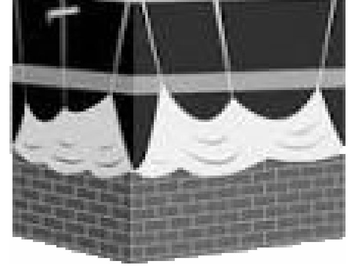
" أدركني يا سلمه..أعني على هذا الرجل، إنه قاتلي"

سرعان ما وثب سلمة من الخلف، وطعن الصحابي الجليل عكاشة، لترتقي روحه إلى الملأ الأعلى شهيدا بإذن الله.

رحم الله الشهيدين، وهنيئا الجنة بغير حساب، وبغير سابقة عذاب سيدي عكاشة.

❖❖❖

أبو حذيفة بن عتبة



-١٤-

هل من مبارز
أبو حذيفة بن عتبة



رغم ظلام الليل الدامس، شعرت بـه زوجته سهله بنت سهيل بن عمـرو، وهـو يلتفت خلفه، حيث مكة الراقدة في هدوء الليل، شعرت بحسرة على فراق هذا البلد الذي عاش فيها حياته كلها.

ولـسان حالـه يقـول: والله مـا أردت فراقـك يـا مكـة.. ولكـنهم أرغمونـا عـلى الرحيل.

ربطت زوجته سهلة بنت سهيل على كتفه، تريـد أن تهـون الأمـر عـلى زوجهـا أبي حذيفـة بـن عتبـة، وقالت:

لا عليك يا زوجي، عسى أن يكتب الله لنا عيشا أهنأ من هنا,

انفجر أبو حذيفة في بكاء كان يكتمه، ثم قال لها:

والله يا زوجتي ما أحببت فراق بلـدي، ومـا أحببـت أن أشـق عليك بالسفر مرة أخرى، أنت وولدنا الرضيع محمد.

ما أسعدني برفقتك يا أبا حذيفة.

لكن...

ولم يكمل أبـو حذيفـة كلماتـه، لقـد خنقتـه الـدموع، لكـن زوجته قالت:

إنه أمر الله ورسوله ﷺ، وما أحب من طاعة الله ورسوله.

ارتاحـت نفـسه الحزينـة بعـض الـشئ، عنـدما سـمع هـذه الكلمات الطيبة من زوجته، والتي آمنت مع زوجها بالله ورسوله.

كان أبو حذيفة، حزينا لفراق بلده الحبيب مكة.

حزينا لأنه يهاجر منها مرغما للمرة الثانية.

كانت هجرته الأولى إلى الحبشة، وذلك لما يقوم به المـشركين من تضيق الحياة على المسلمين، من تعـذيب وتنكيـل بالـضعفاء، يريدون ان يعيدوهم إلى عبادة الأصنام.

وفي الحبشة، رزقه الله بولده "محمد"، ثم عـاد مـع العائـدين إلى مكـة مـرة أخـرى، ولكـن المـشركين اشـتدوا أكـثر في اضـطهاد المسلمين، فأمرهم رسول الله ﷺ، بالهجرة إلى المدينة سرا، حتـى لا يتتبعهم المشركين، فيعودوا بهم إلى مكة، ويجـبروهم عـلى عبـادة أصنامهم.

ثم جاءت همهمات بكاء من الخلف، فالتف أبو حذيفة إلى صاحبها وقال:

ما يبكيك يا سالم

أبكاني ما يبكيك يا سيدي.

هل تحب مكة يا سالم..؟.

ومن لا يحبها يا سيدي..؟.

فقالت سهلة زوجة أبو حذيفة:

- هدأ من روعك يا سالم، عسى أن نجد في هجرتنا هذه خيرا.

كان سالم مولى أبي حذيفة، يلازمه طوال الوقت، لم يتركه لحظة، حتى أنه أسلم بعد سيده أبي حذيفة، ورافقه الهجرة إلى الحبشة، وها هو يرافقه إلى المدينة.

كان أبو حذيفة من السابقين الأوائل، الذين أمنوا بدعوة رسول الله ﷺ، قبل اختيار بيت بن الأرقم مقرا للدعوة.

لم يلقَ أبو حذيفة ترحيبا بإسلامه من والده، والذي عنفه كثيرا لأنه اتبع دين الإسلام، تاركا دين أجداده، ولذلك نصب له العداء.

❖❖❖

وقبل أن يقتربوا من المدينة، كان أبو حذيفة حزينا، يفكر في صمت شديد.. كيف يكون الحال في بلد لم يعرف فيها أحد، وهل يجد سبيلا للعيش هو وزوجته وخادمه سالم.. وهل يتركوه يعبد الله كما يريد، أم يجد من يضايقه مثلما فعل أهل مكة..؟.

ولذلك ظل يبتهل إلى الله ان يكتب لهم العيش في المدينة، وأن يجد الأمن والأمان في هذه البلدة.

وعلى مشارف المدينة، وجد وجوه باسمة مستبشرة، وأيادي كثيرة تتلقفه هو وأسرته، الكل يفتح له وقلبه، الكل يريد أن ينزل أبو حذيفة عليه ضيفا مكرما.

فرح أبو حذيفة لهذه الحفاوة، واطمأن قلبه، أدرك أنه وسط قلوب عامرة بالإيمان مثله، وأنه سوف يمارس صلاته وعبادته آمنا مطمئنا.

ثم فاز عبّاد بن بشر الأنصاري بالضيف، واتخذه أخا وصديقا هو وأسرته، حتى جاء رسول الله ﷺ بعد ذلك، وآخى بين الاثنين.

وبعد ذلك جاء رسول الله ﷺ مهاجرا هو وصاحبه، واستقر بهم المقام في المدينة، ونشر الإسلام كما أمره الله سبحانه، مؤسسا دولة الإسلام بقواعدها السليمة، وأصبح لها جيشا يحمي حقوقها في الحياة، وحقوقها في حرية العبادة.

وذات يوم، كان أبو حذيفة جالسا يلاعب فلذة كبده، وزوجته منشغلة بإعداد الطعام.

جاء النداء.

حي على الجهاد... حي على الجهاد.

اهتز كل ما في جسد أبو حذيفة، ونظر إلى زوجته، فرآها تنصت هي الأخرى للنداء، ثم ابتسمت، وقالت:

كنت أتمنى أن يبيح لنا الجهاد معك جنبا إلى جنب يا أبا حذيفة.

لم يرد على زوجته، وقام مسرعا إلى سيفه المعلق على الحائط، ربطه في خصره، ثم جمل ولده بين ذراعيه، وقبله مرات وهو يسلمه لأمه ويقول:

حين تعلمين ابنك حب الله ورسوله، وتعلمينه فرائض الإسلام، فأنت في جهاد اكبر يا زوجتي.

ثم ودع زوجته، وأسرع إلى الجهاد، وخلفه مولاه سالم، يجاهد في اللحاق به.

وقبل أن تبدأ ملحمة بدر، وحين كان رسول الله ﷺ ينظم صفوف المسلمين، خرج أبو حذيفة عن الصف، وتقدم للإمام في مواجهة المشركين، ثم رفع سيفه وقال بأعلى صوته، مناديا والده الذي كان في صفوف المشركين، ودعاه للمبارزة.

توقفت القلوب، وانقطعت الأنفاس.

كيف لرجل مسلم يدعو والده المشرك للمبارزة..؟. كيف يصل حبه لله وللرسول لهذه الدرجة العالية..؟.

ولم يعرف أحد أن أبا حذيفة ربما كان صائبا في مبارزة والده، لأنه لو قتل والده بيده، أفضل من أن يقتله مسلم آخر، **فيعـيـ** ? طول العمر وفي نفسه شئ للقاتل، غير أن والده هالـك لا محالـة، لأنه مشرك.

لكن رسول الله ﷺ نادى عليه، ومنعه من أن يبارز والده.

وبدأ أبو حذيفة بالعودة إلى مكانة بين صفوف المسلمين، ثم استوقفه صوت امرأة قادم من جهة المشركين، امـرأة تـصرخ بكـل ما فيها من قوة، يملأها الحقد والكراهية للمسلمين.

التفت أبو حذيفة إلى صاحبة الصوت.

يا إلهي...إنها أخته هند بنت عتبة، زوجة أبي سـفيان، تقـف بجوار أخيها الوليد، وتقول:

الأَحْوَلُ الأَثْعَلُ الْمَشْؤُومُ طَائِرُهُ
أَبُو حُذَيْفَةَ شَرُّ النَّاسِ فِي الدِّينِ
أَمَا شَكَرْتَ أَبًا رَبَّاكَ مِنْ صِغَرٍ
حَتَّى شَبَبْتَ شَبَابًا غَيْرَ مَحْجُونِ؟

هكذا أنشدت أخته هند بنـت عتبـة، زوجـة - أبي سـفيان- تسب أخاها حذيفة بن عتبة، وقالت أنـه فـأل شـؤم أحـول، وشر الناس أجمعين، رغم أنه كان فارع الطول، أبيض الوجه،

عاتبته بشدة، لأنه دعا والده عتبة للمبـارزة أمـام النـاس، في الوقت الذي يجب عليه أن يشكر أبـاه الـذي ربـاه منـذ الـصغر، حتى أصبح شابا مكتمل الرجولة.

ثم دارت المعركة، واشتد رحاها، ولم يقـترب أبـو حذيفـة مـن والده أو أخيه، رغم أنه كان يصول ويجول في كل أركـان الميـدان، يقاتل هنا وهناك، يقاتل بغيظ، يريد أن ينتقم لله وللرسـول، مـن الذين آذوا رسول الله ﷺ، وآذوا المـسلمين في مكـة، ولتعلـو كلمـة

الحق على الباطل، وينتقم لنفسه أيضا، فما زال تعب هجرته إلى الحبشة، ومرار فراقه مكة في نفسه.

وعندما أدرك المشركون أن الهزيمة لاحقة بهم لا محالة، لاذوا بالفرار، تاركين الميدان بما فيه.

وتم النصر للمسلمين بحمد الله، رغم أنهم كانوا قلة في العدد والعتاد، لكن العقيدة دائما هي العامل الأساسي لكل نصر ، بعد إذن الله ومدده.

ووقف رسول الله ﷺ أمام "القليب"، المكان الذي وضعوا فيه قتلى المشركين، ونظر إليهم ثم قال:

" يا عتبة، ويا شيبة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل، يعدد كل من في القليب، هَلْ وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا؟

وإذا بصوت بكاء يأتي من جانبه، فالتفت رسول الله ﷺ إليه، فإذا هو أبو حذيفة بن عتبة، وعلى وجهه حزن عميق.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" لعلك دخلك من شأن أبيك شيء؟

" قَالَ:

لاوالله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يقربه ذَلِكَ إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عَلَيْهِ من الكفر بعد الَّذِي كنت أرجو لَهُ، حزنني ذَلِكَ.

فدعا رسول الله ﷺ لأبي حذيفة بخير.

❖❖❖

لم تتوقف رحلة أبي حذيفة الإيمانية بعد غزوة بدر، لقد شارك في المعارك كلها مع رسول الله ﷺ، وآمن بكل ما كان يسمعه

عن رسول الله، وبكل ما يأتي من وحي السماء، وكذلك زوجته المؤمنة سهله بنت سهيل بن عمرو.

وعندما نزل قول الله سبحانه:

«ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ» الأحزاب: ٥

أسرع أبو حذيفة إلى بيته، نادى سالم، الذي أصبح شابا يافعا، وقال له:

- يا سالم.. اليوم نزل قرآن من السماء على رسول الله ﷺ، حرم الله سبحانه به التبني، فانظر ماذا ترى.

وضع سالم وجهه في الأرض تادبا، ثم قال:

اعرف أنكم قمتم بتربيتي منذ كنت صغيرا، وأحسنتم إلى كثيرا، حتى أصبحت الآن شابا يافعا، فليس من المروءة والرجولة أن أترك من أطعمني وكساني، فدعني أرد لكم شيئا من المعروف.

قام أبو حذيفة واحتضن سالم، واتخذه أخا في الإسلام بعد نزول هذه الآية الكريمة، ثم زوجه فاطمة بنت أخيه الوليد بن عتبة.

واصل أبو حذيفة الجهاد جنبا إلى جنب مع سالم، حتى جاءت موقعة اليمامة، في عهد سيدنا أبو بكر الصديق، أبلي فيها بلاءا حسنا، ثم وقع شهيدا وهو يصرخ في المجاهدين قائلا:

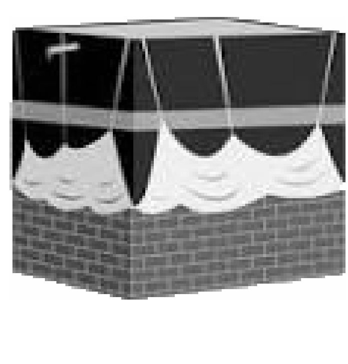
" "يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال"

ثم مات الصحابي الجليل أبو حذيفة شهيدا بإذن الله.

ومن المصادفات، أن يستشهد سالم في هذه الموقعة أيضا، كأنه يقول لأبي حذيفة .. لن أتركك أن تذهب الجنة وحدك"

❖❖❖

أبو أيوب الأنصاري



-١٥-

صاحب الشرف الرفيع

أبو أيوب الأنصاري



طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

اليـوم الرابـع، ومـازال رسـول الله ﷺ في قباء، لم يدخل المدينة بعد.

قام خلالهـا بتأسـيس أول مـسجد قبـاء، وهو أول مسجد بني في الإسلام.

ومازالت أناشيد الترحـاب تـأتي مـن هنـا وهناك، يترنم بهـا الـصغار والكبـار مـن أهـل المدينـة، يلوحـون بـسعاف النخـل في الهـواء، معبرين عن سعادتهم بأشرف زائر للمدينة.

يتساءلون.. متـى يـدخل رسـول الله ﷺ المدينـة، هـل يظـل مكانة في ضاحية قباء.. وإذا دخـل.. عـلى أي بيـت سـوف تكـون منزلته.؟.

وأخيرا.. عزم رسول الله ﷺ مغادرة قباء.

ركب ناقته المباركة، سارت في شوارع المدينة، تتعلق القلوب بخطواتها، ويتعلق سادة المدينة بزمام الناقة.

انزل عندنا يا رسول الله...

هكذا كـانوا يقولـون.. الكـل يريـد أن ينـال شرف استـضافة الرسول الكريم في بيته.

بدأ كل واحد منهم يعدد محاسن بيته، ويعد رسـول الله ﷺ بأنه سوف يجد كل سبل الراحة.

لكن رسول الله ﷺ كان يقول مبتسما.

(دعوها فإنها مأمورة).

وتمضي الناقة في طريقها، تتعلق بها القلوب، الكل يتمنى أن تقصد بيته.

فإذا اقتربت من بيـت أحـدهم، غمرتـه الـسعادة، تمنـى أن تقف برسول الله ﷺ، حتى ينال هذا الشرف العظيم.

وإذا تجاوزت البيت،حزن أهله حزنا شديدا.

وحتى لا يظن أحد أن رسول الله ﷺ يقصد بيت بعينه، تـرك زمام الناقة من يده، تركها تـسير دون أن يوجههـا يمينـا أو يـسارا، تركها لأمر الله سبحانه.

وعندما بلغت مكان واسـع، وقفـت.. تلفتـت يمينـا ويـسارا، وأهل المدينة يكتمون الأنفاس، تتعلق القلوب والأنظار بخطواتها، مازالوا يتساءلون.. من سيكون أسـعد حظـا باستـضافة رسـول الله ﷺ.

وأخيرا بركت الناقة، لكنهـا قامـت مـرة أخـرى، سـارت بـضع خطوات، ثم عادت إلى مكانها الأول، وبركت فيه.. فنزل رسول الله ﷺ، وسط تهليلات أهـل المدينـة، الـذين راحـوا يهنئـون صـاحب البيت، والفائز بالشرف العظيم.

لكن.. من هذا السعيد الذي حظي بهذا الشرف..؟.

إنه خالد بن زيد بن كليب بـن ثعلبـه، ويكنـى بـأبي أيـوب الأنصاري، من قبيلة الخزرج، أمه زهراء بنت سعد بن قيس، مـن قبيلة الخزرج.

سافر من المدينة إلى مكة، ليكون من السبعين الذين بـايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية، بايعه على الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن رسوله ﷺ.

ومثل كل الأنصار، كان أبو أيوب كريما جدا، أراد أن يعبر عن كرمه الزائد برسـول الله ﷺ وأسرتـه، فـأسرع إلى تنظيـف الطـابق الثاني من بيته، وإخلاءه من كل أشياءه، لينزل فيه رسول الله ﷺ.

لكـن رسـول الله ﷺ أراد أن ينـزل في الـدور الأول، لـشئ لم يعلنه لأبي أيوب الأنصاري.

خضع أبو أيوب لأمر رسول ﷺ، وصعد إلى الدور الثاني.

وعندما خيم الليل، وغطى السكون المدينة، نظر أبـو أيـوب إلى زوجته في لهفة، فوجدها شاردة بعقلها بعيدا، كأنهـا تفكـر في شئ.

قال:

ماذا يا زوجتي.. هل تفكرين ما أفكر فيه..؟.

نعم يا أبا أيوب..

كيف وافقنا أن نجلس في مكان أعلى رسول الله ﷺ..؟.

لم أعرف يا زوجي.. هل كنا مغيبين حتى نرضى بذلك..؟.

يا ويلنا.. أنمشي فوق رسول الله ﷺ...أنكـون حـائلا بينـه وبـين الوحي... إذن نحن هالكون لا محالة .

وهكذا قضى أبو أيوب وزوجته ليلتهما، يعتصرهما الندم، فهما يعلمان المكانة العلوية لرسول الله ﷺ، وأنه لا يليق أن يجلسا أو يسيرا في مكان أعلى منه.

ولذلك..سارا على أطراف أقدامهما، حتى اتخذا مكانا بعيدا عن مرقد رسول الله ﷺ، واستمسكا به حتى الصباح.

وفي اليوم التالي، أخبر أبو أيوب رسول الله ﷺ بأنه لم يذق للنوم طعما ليلة البارحة، وكذلك زوجته.

فتعجب النبي ﷺ وسأله عن السبب، فقال:

- تذكرت أننا في مكان أنت تحته يا رسول الله، ولو خطونا لتناثر عليك الغبار، غير أننا في مكان بين الوحي وبينك.

ابتسم رسول الله ﷺ وقال:

- هون عليك الأمر يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفلي، لكثرة من يغشانا من الناس.

هز أبو أيوب رأسه، وحاول أن يقتنع بالسبب الذي اختار لأجله رسول الله ﷺ ، الطابق الأسفل، لكن مازال في نفسه شيئا يؤرقه.

حتى جاءت ليلة باردة، وقع إبريق كان مملوءا بالماء على الأرض، خشي أبو أيوب وزوجته أن تسقط قطرات الماء على رسول الله ﷺ، فبحثا عن شئ يجففا به الماء، فلم يجدا غير قطعة قماش كانت غطاءا لهما، فأسرعا وجففا بها الماء.

وفي اليوم التالي، ذهب أبو أيوب رسول الله ﷺ، وأفضى إليه بما يؤرقه ويقلق مضجعه، وأخبره أنه لا يرتاح في مكان أعلى مسكن رسول الله ﷺ، وقص عليه ما حدث ليلة البارحة، ثم طلب منه أن يتبادل معه المسكن، ليكون رسول الله ﷺ في الطابق العلوي.

وافق رسول الله ﷺ، وانتقل ليتخذ الدور العلوي سكنا له.

مضت سبعة أشهر، قضاها رسـول الله ﷺ ضـيفا في بيـت أبي أيوب الأنصاري، حتى أقام المسجد في المكان الواسع، الذي بركـت فيه ناقته المباركة، فانتقل مع أسرته إلى الحجرات التي تم بناءهـا حول المسجد، ليكون جارا لأبي أيوب، الذي أحبه حبا شديدا.

ولذلك... كان رسول الله ﷺ يرى بيت أبي أيوب كأنه بيتـا لـه، يتردد عليه كثيرا، وأحيانا مع أصحابه، وكان أبو أيوب يدخر طعام لرسول الله ﷺ، فإن لم يأت، أطعمه لأهله.

وذات يوم، طرق رسول الله ﷺ باب أبي أيوب، وكان معه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.

رحبت به زوجته وقالت:

- أهلا برسول الله وبمن معه.

كان أبو أيوب بالقرب من بيته، يعمـل في نخـل لـه، فـسمع ترحيب زوجته بالضيوف، فجاء مسرعا، وفي يده غصن من النخل، به تمر كامل النضج، ورطب كبير الحجم وصغير أيضا.

قطعه مسرعا، ليقدمه لرسول الله ﷺ ومن معه.

لكن رسول الله ﷺ ، أراد أن يقول لـه أن الإسـلام ينهـي عـن قطع كل ما هو مثمر، حتى يستفيد الناس بـالثمار، ويعـم الخـير على البلاد، فقال له في تودد:

يا أبا أيوب.. ما أردت أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من ثمره.

أراد أبو أيوب أن يبرر قطعه لفرع التمر، وقال:

- يا رسول الله .. أحببت أن تأكل من التمر الناضج والرطـب الصغير والكبير كيفما شئت، وسوف أذبح لكم شاة أيضا.

وهنا أراد رسول الله ﷺ أن يذكر أبـو أيـوب بتعـاليم الإسـلام، ويقول له أن الـدين نهـى أيـضا عـن ذبـح كـل مـا هـو منـتج إلا للضرورة، حتى يستفيد الناس من لبنها، فقال له:

إن ذبحت لا تذبحن ذات لبن.

امتثل أبو أيوب لأمر رسول الله ﷺ، ولم يذبح شاة ذات لبن، وجاء على جدي، وقام بذبحه، ثم جهز نصفه للشواء، والنصف الأخر للطبخ.

وأسرعت زوجته بتجهيز الخبز.

وحينما قدم أبو أيوب اللحم والخبز بين يدي رسول الله وصاحبيه، أخذ الرسول قطعه من اللحم، ووضعها في رغيف، وقال:

- يا أبا أيوب.. بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام.

وبعد أن أكلوا، دمعت عين رسول الله ﷺ ، ثم قال:

(خبز ولحم وتمر وبسر ورطب..!.. والذي نفسي بيده، إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، فإذا أصبتم مثل هذا فضربتم أيديكم فيه فقولوا:

بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأنعم علينا فأفضل).

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من كلماته، طلب من أيوب ان يزوره في بيته قائلا له:

" ائتنا غدا"

لم يعرف أبو أيوب لماذا طلب رسول الله ﷺ زيارته، ولكنه على يقين أن الأمر سوف يكون خير، فأشرف خلق الله لا يأتي إلا لخير.

وفي التالي، أسرع أبو أيوب إلى بيت رسول الله ﷺ، فأهداه النبي خادمة صغيرة، كانت تقوم بخدمة رسول الله ﷺ ، وأوصاه قائلا:

استوص بها خيرا يا أبا أيوب، فإنا لم نر منها إلا خيرا مادامت عندنا.

قبل أبو أيوب هدية رسول الله ﷺ، وعاد بها إلى زوجته، ولكنه فكر مع زوجته.. ما هي الطريقة التي يكرم بها هذه الجارية، كما أوصاه رسول الله ﷺ..؟. ولم يجدا أفضل من أن يعتقاها لوجه الله، وتنفيذا لوصية رسوله ﷺ.

❖❖❖

وحينما كتب الله القتال على المسلمين، سارع أبو أيوب الأنصاري إلى الجهاد، واحتل مكانه في الصفوف الأولى، تلبية للنداء، ولنصرة دين الله.

لم يتخلف عن غزوة مع رسول الله ﷺ، لقد كان رفيقا له كلما غزا، وجليسا أينما كان.

وبعد أن قبض رسول الله ﷺ، وضع نفسه تحت إمرة خليفة المسلمين أبو بكر الصديق، مجاهدا مقاتلا، ثم تحت إمرة عمر، ثم عثمان، لم يتخلف عن الجهاد مرة.

عاش أبو أيوب حياته مجاهدا في سبيل الله، حتى بلغ من العمر ثمانون عاما، وأصبح معاوية ابن أبي سفيان خليفة للمسلمين، ورغم ذلك لم يقعد عن الجهاد.

حتى جهز معاوية جيشا كبيرا لفتح القسطنطينية، تحت قيادة ولده يزيد.

فانطلق أبو أيوب كعادته إلى الصفوف الأولى، وسار مع الجيش إلى القسطنطينية.

وفي أثناء المعركة، شعر أبو أيوب بمرض شديد، فاتخذ ركنا يصارع الألم، وجاء يزيد ليعوده ويطمئن عليه،.

رأى يزيد أن هذه اللحظات هي أخر ما يتبقى من عمر هذا المجاهد العجوز، فسأله:

- ألك شئ يا أبا أيوب..؟.

رغم مرضه لم يطلب طبيبا أو دواءا ، لقد شغله الجهاد والنصر على الأعداء عن كل شئ، وقال له:

إقرأ عني السلام على جنود المسلمين، وأوصيهم أن يدفنوا جثماني عند أسوار القسطنطينية.

كانت هذه هي آخر كلمات أبو أيوب، وآخر وصاياه في الدنيا، مما أشعل الحماس في نفوس الجنود، فقاتلوا بشراسة، حتى وصلوا إلى سور القسطنطينية، وهناك دفنوا جثمانه الشريف كما أوصي رضي الله عنه.

❖❖❖

الفهرس